الفصل الثالث

❋ الكتاب: الظل الثالث

❋ الكاتب: سيد صابر

❋ مراجعة لغوية: قسم التحرير والمراجعة بدار المنتدى

❋ تصميم الغلاف: قسم الجرافيك بدار المنتدى

❋ إخراج داخلي: القسم الفني بدار المنتدى

❋ رقم الإيداع: 13933 / 2022

❋ الترقيم الدولي: 978-977-6914-92-6

المدير العام: عزيز عثمان

لمراسلة الدار: daralmuntadaa@gmail.com

واتس آب: 01005186476

صفحة الدار على موقع فيسبوك: دار المنتدى للنشر والتوزيع











الظل الثالث

للكاتب

سيد صابر



إهداء

إلىٰ توأم الروح ونبت الحياة

وشجرة الأمل...

إلىٰ ابني...

كريم

❋



مقدمة

مولانا «جلال الدين الرومي» كان يرىٰ أن العقل قد يُعطِّل المعرفة المقدسة التي يدركها القلب في حضرةِ الإيمان، ويقول:

«العقلُ رائعٌ جدًا ومطلوبٌ من أجل أن يأتي، فإذا وصلت إلىٰ بابهِ -أي الخالق سبحانه وتعالىٰ- فطَلِّق العقل؛ لأن العقل في هذه الساعة مُضِر بك، وهو قاطع طريق»

وهذا ما يقول به ويتبعه المصري البسيط في التبَرُّك بآل البيت «سيدنا الحسين والسيدة زينب والسيدة ونفيسة» وهذا ما يجعل المسلم المصري يضيء الشموع في «سانتا تريزا وماري جرجس»

تخيلوا أن يظل المُجتمع المصري وتاريخه ومكوناته الثقافية أسرىٰ المتهافتين ممن يسمون أنفسهم



«تراثيون» وأن تظل مصر أسيرة لتُرّهات وخوار من يسمون أنفسهم «تنويريون» تنتظر هبوب أنواء هرمونات «المفكرون الملحدون» وشتات وخراب تُراث «الأصوليون»

إن آفة ما يحدث لنا الآن هي الثنائيات السياسية والاجتماعية والثقافية، وحتىٰ الرياضية: «أهلي وزمالك، عسكر وإخوان، اشتراكية ورأسمالية، ديمقراطية سياسية وديمقراطية اجتماعية، تراثيون ومتنورون» وفي عز صراع تلك الثُنائيات مع بعضها البعض، ومحاولات القضاء علىٰ بعضها البعض، وطحن تلك الثُنائيات لعقل ووجدان المصري المعاصر يغيب عن ذهنه وجود حل بسيط جديد ولم يُجَرب بعد؛ **الطريق الثالث**؛ حيث رحابة العِلم وسمو الدين وعظمة الإرث الحضاري.



علمونا في علم النفس نظرية الدور الاجتماعي؛ وهي أن الأب لا يستطيع أن يكون أبًا بالمعنىٰ الحقيقي إلا إذا مَثّل دور الأب، وأكمل مشوار حياته وهو يتقمص شخصية الأب بكل مراحله، الجنود المنتصرون هم من تدربوا علىٰ الحرب ومناوراتها ومسرح عملياتها، فإذا أتت ساعة الحرب اشتبكوا مع العدو وكأنهم في ساعة التدريب وليس القتال.

وقد توالت التغيرات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية علىٰ المجتمع المصري خلال العقود القليلة الماضية، والتي أدت إلىٰ حدوث تغيرات جوهرية في بنية ووظائف المؤسسات الاجتماعية المختلفة، وظهرت آثار هذه التحولات بشكل ملموس في المجتمع منذ ثمانينيات القرن العشرين، إلا أن وتيرتها تسارعت مع مرور المجتمع بتحولات كبرىٰ في مرحلة ما بعد «ثورة ٢٥ يناير



٢٠١١» وهنا نرجع إلىٰ سيرتنا الأولىٰ وهي تحديد المُصطلحات وتمهيد التُربة للنَبتْ الفكري الجديد **«الطريق الثالث»**

سياسيًا لا يوجد عندنا -وفي كل العالم- كُليات تُخَرِّج رؤساء جمهورية، ولكن عندنا تجارب وكفاءات سياسية وإدارية. الموضوع مرتبط بالثقافة وبالأدوار السياسية المحلية والدولية والإدارية ومعرفة مَواطِن القوة والضعف والاستخدام الأمثل للموارد والمواقف، نعم الاستخدام الأمثل للمواقف والصراعات.

لن نتحدث عن بديهيات مرتبطة بالولاء للوطن وتقديمه عن أي شيء آخر، لأن الكثير من تلك البديهيات تم استخدمها باعوجاج وانحطاط لطحن وسحق كل من يختلف مع الحاكم علىٰ مدار الزمن! أي حاكم.



تلك المحاولات منا هي أصداء حركة ثقافية وليست أطروحات غيبية؛ فنحن نرىٰ أن المصري القديم الذي صنع أمجادًا علىٰ كل المستويات لا يمكن أن يظل أسير غيبيات وظلاميات وكربلائيات التراثيين، ولا أسير تُرهات وخوار المتنورين.

لقد شهد أفلاطون بفضل الحضارة المصرية علىٰ العلم والفكر اليوناني، وأن اليونانيين كانوا طُلاب علم لدىٰ المصريين، وأن كثيرين من الفلاسفة اليونانيين أقاموا في مصر عدة سنوات، وتعلموا أصول الفلسفة من المصريين، ويصعب تصور أن الذين بنوا الأهرامات بتلك الدقة المذهلة في الحساب بحيث لم يُخطئوا إلا بمقدار بوصة واحدة في محيط قاعدة الهرم الأكبر لا يستحقون وصف علماء! ومن الغُبن أن نرفع صفة العلم عن تلك المعلومات الفلكية العظيمة التي توصل إليها المصريين، وعلىٰ المعلومات الكيميائية التي



أتاحت لهم أن يصبغوا أنسجة ملابسهم ومبانيهم وصوامعهم ومعابدهم بألوان ما زالت زاهية حتىٰ اليوم، أو فكرة التحنيط الذي احتار العالم في تفسيرها منذ أربعة آلاف عام.

❋❋❋❋



البدايات

يشرح الدكتور «محمود الضبع» في كتابه «ثورة ١٩١٩ والحالة الثقافية لمصر. بداية الإشراقة التنويرية وآثارها علىٰ المجتمع المصري» فيتحدث عن الجانب الثقافي ويقول:

كانت هناك حركة فكرية تتشكل للمرة الأولىٰ في تاريخ الثقافة العربية، قادها الثلاثي «طه حسين وأحمد حسن الزيات ومحمود الزناتي» كوَّنوا جماعة شغلت نفسها بنقد الأزهر وقراءة كُتب ودواوين الشعر القديم والحديث، إلىٰ جانب تتلمذتهم علىٰ يد الإمام «محمد عبده» الذي علّمهم التمرد علىٰ طرائق الاتباعيين آنذاك، وقد أسفرت هذه المرحلة عن طرد طه حسين من الأزهر الشريف، ولم يعد إليه إلا بعد أن تدخل أحد شيوخه الكبار، غير أنه ما لبث أن عاد للتبَرُّم من دروس الشيوخ الاتباعيين -كما سماهم- واقتصر علىٰ حضور



دروس قليل منهم مثل «الشيخ بخيت» واتجهت أنظاره نحو فروع المعرفة التي لم يكن الأزهر الشريف يوليها عنايـة، والتقـىٰ معـه في هـذا التوجـه «الشـيخ حسـين المرصفي» أستاذ «البارودي وشوقي والزيات» فبغضا معًا طرائق التدريس في الأزهر، وأحبا الحرية والنقد وروح التمرد.

يأتي العام ١٩٠٨م فاتحة خير علىٰ الجميع؛ بافتتاح جامعة فؤاد الأول (الجامعة المصرية لاحقًا) والتي كانت تُدرِّس الحضارة الإسلامية، علىٰ يد «أحمد زكي باشا» والتاريخ والجغرافيا وبعض اللغات الشرقية، حبشية، سريانية، عبرية، الحضارة المصرية القديمة، الفلك، الأدب والفلسفة وغيرها من العلوم التي كان يقوم علىٰ تدريسها أساتذة مصريون وأجانب.

حصل طه حسين علىٰ درجة الدكتوراه الأولىٰ في الوطن العربي «مايو ١٩١٤م» حول أبي العلاء المعري،



وهوما أثار ضده الضجة الهائلة التي اتهمته بالكُفر والإلحاد؛ بسبب كتابه الصادر عن رسالته للدكتوراه، وطالب أحد أعضاء البرلمان بحرمانه من درجته الجامعية، لولا تدخل «سعد زغلول» وجعلها معركة برلمانية للدفاع عن طه حسين.

وهنا لنا وقفة مهمة، وهي أن طه حسين لم يكن يومًا وفديًا، لا؛ بل هو نقيض للوفد، ودائمًا ما كان يهاجمه ويهاجم سعد زغلول شخصيًا، إلا أن سعد بسبب إيمانه الحقيقي بالعلمانية ومكنونات نفسه التي تشي بالوطنية وإحساسه بأنه زعيمٌ حقيقي، وابنٌ بارٌ لهذا الشعب؛ قاد معركة خصومة في حقهم في التعبير عن مكنونات أنفسهم، ونجد هنا كذلك رحابة الفكر ورجاحة العقل. ورغم التطاحن والصراع الفكري بينهما عندما يقوم طه حسين بإهداء روايته «دعاء



الكـروان» إلـىٰ العقـاد دون غيـره مـن كُتـاب ومفكـري عصره!

والحديث بالحديث يذكر وطالما ذكرنا العقـاد، فـلا بـد من عجالـة علىٰ كتـاب «عِلـل وأدويـة» للشـيخ «محمـد الغزالي» والذي كتب...

يقول الشيخ محمد الغزالي رحمه الله:

قرأت للدكتور طه حسين واستمعت له، ودار بيني وبينه حوار قصير مـرة أو مـرتين، فصـدّ عنـي وصـددت عنـه، أسـلوب الرجـل مُنسـاب، رائـق وأداءه جيـد. معجـب وهوبين أقرانـه، قـد يـدانيهم أو يسـاويهم، ويسـتحيل أن يتقـدم علـيهم، بـل عنـدما أوازن بينـه وبـين العقـاد مـن الناحيـة العلميـة، أجـد العقـاد أعمـق فكـرًا وأغـزر مـادة وأقوّم قـيلًا، وأكـاد أقـول ان الموازنـة المُجـردة تخـدش قدر العقاد



وأسلوب زكي مبارك أرشق عبارة وأنصع بيانًا من أسلوب الدكتور طه حسين، ولولا أن الرجل قتله الإدمان لكان له شأنٌ أفضل.

ودون غمط لمكانة الدكتور الأدبية نقول أنه واحد من الأدباء المشهورين في القرن الحالي، له وعليه، وحسبه هذا.

بيد أنني لاحظت أن هناك إصرارًا علىٰ جعل الرجل عميد الأدب العربي، وإمام الفكر الجديد، وأنه زعيم النهضة الأدبية الحديثة! ولم أبذل جهدًا مذكورًا لأدرك السبب؛ إن السبب لا يعود إلىٰ الوزن الفني أو التقدير الشخصي، السبب يعود إلىٰ دعم المبادئ التي حملها الرجل، وكُلِّف بخدمتها طوال عمره، مات، بيد أن ما قاله يجب أن يبقىٰ وأن يُدرّس وأن يكون معيارًا للتقدم.

تدبر هذه العبارة للدكتور العميد:

«إن الـدين الإسـلامي يجـب أن يُعلّـم فقـط كجـزء مـن التاريخ القومي، لا كدين إلهي نزل يبين الشرائع للبشـر؛ فـالقوانين الدينيـة لـم تعـد تصـلح في الحضـارة الحديثـة كـأساس للأخلاق والأحكام، ولذلك لا يجوز أن يبقىٰ الإسـلام في صـميم الحيـاة السياسـية، أو يتخـذ كمنطلـق لتجديد الأمة، فالأمة تتجدد بمعزل عن الدين.»

الإسلام وحـده يجـب أن يُبعـد! ويمكـن الرجـوع لمثـل كتابـه (مسـتقبل الثقافـة في مصـر) لتجـد أشـباهًا لهـذه العبارات السامة! ويشـاء الله بقدرتـه أن تقـع عينـي علـىٰ هذه العبارة:

«وقد قررت إسرائيل وقف الطيران في شـركة العـال يـوم السبت احترامًا لتعاليم اليهودية!»

إن الإسـلام وحـده هـو الـذي يجـب إبعـاده عـن الحيـاة العامة! أما الأديان الأخرىٰ فلتقم باسـمها دول ولتُرسـم علىٰ هُداها سياسات!



والظاهر أن الدكتور طه حسين كان تُرجمانًا أمينًا لأهدافٍ لم تعد خافية علىٰ أحد عندما طالب بإقصاء الإسلام وأخلاقه وأحكامه، وعدم قبوله أساسًا تنطلق الأمة منه وتحيا وفق شرائعه وشعائره.

قائل هذا الكلام يجب أن يكون عميد الأدب العربي في حياته وبعد مماته، وأن تشتغل الصحافة والمسارح بحديث طويل عن عبقريته، وليكون عَلمًا في رأسهِ نار، كما يقول العرب قديمًا!

أما العقّاد وإسلامياته الكثيرة، فيجب دفنه ودفنها معه، ومع أن الرجل حارب الشيوعية والنازية وسائر النُظم المستبدة، وساند الديمقراطية مساندة مُخلصة جبارة، فإن العالم (الحر) ينبغي أن يهيل علىٰ ذكراه التراب؛ ليكون عِبرة لكل من يتحدث في الإسلام ولو بالقلم! فكيف إذا كان حديثًا بالفكر والشعور، والدعوة



والسلوك، والمخاصمة والكفاح؟! هذا هو الخصم الجدير بالفناء والازدراء.»

انتهىٰ حديث الشيخ الغزالي والذي ينحاز فيه للعقاد ضد طه حسين، لا بل يتهم طه حسين رغم نبوغه إلا أنه ينفذ أجندة غربية غريبة علىٰ المجتمع المصري.

❊❊❊❊



تغييرات

كتبت الأستاذة «آمال مرعي» رئيس تحرير مجلة أحوال مصرية:

(وقد توالت التغيرات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية علىٰ المجتمع المصري خلال العقود القليلة الماضية، والتي أدت إلىٰ حدوث تغيرات جوهرية في بنية ووظائف المؤسسات الاجتماعية المختلفة، وظهرت آثار هذه التحولات بشكل ملموس في المجتمع منذ ثمانينيات القرن العشرين، ورغم كل الأطروحات التي تؤكد علىٰ وجود سمات ثابتة للشخصية المصرية، إلا أن ثمة تغيرات ارتبطت بالسياق السياسي والاجتماعي والثقافي، وانعكست علىٰ الجانب القيَمي في المجتمع)

وترىٰ الأستاذة آمال أن من ضمن التغييرات التي طرأت علىٰ الشخصية المصرية وأثرت عليها



وساهمت في إضعافها؛ هو التدين الشكلي الذي يُعد سمة أصيلة وقديمة قِدم الأديان، بيد أن هذا النمط من التدين قد يقترن في كثير من الأحيان بغلبة التصورات الميتافيزيقية والقناعات الخرافية والشعبية، فضلاً عن الازدواجية بين التمسك المفرط بالعبادات دون أن ينعكس ذلك علىٰ المعاملات في بعض الأحيان، ويبدو أن السمة الأهم في هذا السياق هي نزعة التشدد الديني، التي صاحبت الهجرة إلىٰ بعض دول النفط، وانتشار مظاهره في الشارع المصري! متمثلة في المبالغة في المظاهر الدينية علىٰ نحو لم يألفه المصريون من قبل، وبما أفضىٰ إلىٰ توترات عديدة شهدها المجتمع.

****



دوخيني يا لمونة

وقد كانت لي إطلالة شخصية نشرت في موقع أخبار التاسعة عن تلك الهجمة علىٰ الشخصية المصرية، ومحاولات استهداف القوىٰ الناعمة، ومسخ الشخصية المصرية وقد كتبنا:

مشهد أفقي لقلب العاصمة الأردنية عمان، صيف عام ١٩٧٧

ولد مصري صغير علىٰ أعتاب المراهقة، يمر من أمام المسجد الحسيني الكبير متفرسًا وجوه العمال المصريين الذين يملؤون الساحة أمام المسجد؛ أملًا في التقاطهم من طُلاب عمال البناء والمعمار والتحميل والتنزيل.



يتلقف عناوين الكتب المتناثرة في الأكشاك المتهالكة التي تتوسط شارع طلال وشارع فيصل، مذابح الإخوان في سجون عبد الناصر، موت أميرة سعودية.

وسرعان ما يجمع عدد ثلاث مجلات (الموعد ومجلة الشبكة واقصوصة حسناء اللبنانية) فالأغلفة مثيرة رغم تهالك أوراقها، يتأبطهم في طريق الرجوع إلىٰ البيت مارًا -مرة ثانية- من أمام المسجد الحسيني، ليجد العمال المصريين يهرولون تجاه (باص) كبير، ليسمع حوارا بين اثنين من العمال:

- هنروح نعمل إيه في أفغانستان؟!
- هي فين أفغانستان ديه يا حامد؟!
- بعيدة ولا قريبة! المهم نلاقي شغل.
- دوول هياخدونا السعودية نعمل عمرة قبل ما نروح أفغانستان ديه.



انصت إلىٰ همهماتهما غير مُدرك ولا مستوعب عما يتحدثون!

قفل راجعًا إلىٰ بيته، وهبط الليل وملل الإجازة الصيفية يجعله متقلبًا علىٰ حرارة الطقس وهبوب عواصف الصبا والشباب، فالتلفزيون الأردني يغلق في تمام الحادية عشرة مساءًا بعد السلام الملكي، حتىٰ التليفزيون ليس به شيء جاذب سوىٰ نشرة أخبار الثامنة حيث الثورة الإيرانية وهروب الشاه.

تقلب في نومه بعد أن التهم الكتابين، وتفحص نهود وشفاه نجمات غلاف الشبكة والموعد، حرك مؤشر الراديو علىٰ الشرق الأوسط، عبد الحليم يصدح بأغنية (حبيبها. لست وحدك حبيبها) وبعدها نداء من الفنانات بصوت الفنانة شادية لمساعدة المسلمين في أفغانستان ضد السوفييت الملحدين الكفرة!

شادية، أفغانستان، سوفييت، ملحدين كفرة!



شـال فيشـة الراديـو، واختـار إحـدىٰ نجمـات غـلاف الموعد ليحتضنها ويغُط في نومٍ عميق.

خريف ١٩٨٢، مشهد أفقي برضـه لـنفس الـواد بعـد أن أصبح شابا يقف في طابور الصباح في مدرسة (شكري شعشـاعة الثانويـة) أكـبر مدرسـة ثـانوي في أرقـىٰ أحيـاء عمان -وقتها- تحية العلم والسلام الملكي وعلىٰ وقـع أغنيــة عراقيــة تصــدح بهــا الإذاعــة المدرســية يشــدو المطرب العراقي.

(نزلـت عمـان وبغـداد في خنـدق واحـد، والأردن قالـت كلمتهــا شــعب وقائــد، والله ووفيــت أبوعبــدالله والله ووفيت)

علىٰ وقـع الأغنيـة ينتظم الطلبـة في طـوابير الطلـوع إلـىٰ الفصول، وهو واثنين زملائه يقفزون من سور المدرسة مهرولين إلىٰ وسط البلد! تـدور أطبـاق الفـول في مطعـم هاشم، ومنه إلىٰ حبيبة حيث الكنافة النابلسية، وخمس



سجاير فرط، وبعدها الخلاف الوحيد بينهم بين الذهاب إلىٰ مقهىٰ خبيني في سقف السيل، أو كما يفضل هو مقهىٰ الجامعة العربية أمام جامع الحسين!

رغم أن كأسة الشاي أغلىٰ ولكنه أنظف، فقد شعر أكثر من مرة بالتقزز من سُعال رواد خبيني ومن رائحة التمباك التي طبقت علىٰ مراوحه.

انصاعوا له، وقبل أن يدلفوا إلىٰ باب مقهىٰ الجامعة العربية أمام الجامع الحسيني، لفت نظره ثلاثة (باصات) مكتوب عليها (أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة) ويهرول نحوها جموع من العمال المصريين الذين يفترشون الساحة انتظارًا لمن يطلبهم في عمل.

شاب عراقي، كث الشوارب، عريض المنكبين، متدلي الكرش، يخطب فيهم بلهجة عراقية صارمة:



- باوع يا معود راح تطلعوا من هون عالرطبة ومن هناك نوزعكم عالمعسكرات، أكل وشرب وراتب شهري، الله يخلي الريس، الله يطول عمره.

والعمال يهتفون خلفه:

- الله يخلي الريس، الله يطول عمره.

ويغيب العمال في جوف (الباصات) هو يحاول أن يفهم، أن يعي ما يحدث! ليأتيه صوت أحد العمال وهو يصرخ:

- يا باشا، مكتب السفريات في مصر قال لي أن عقدي على سلطنة عمان، بس الطيارة نزلتني في عمان بتاعت الأردن! ممكن يعني تودني عمان التانية بتاعت السلطنة؟!

ليصرخ فيه الضابط العراقي:



- جعمز في القاع، جعمز في القاع يا كلوشي، اجلس في أرضية الباص يا أونطجي.

نفس الواد برضه قرر أن يبعد عن شلة الهروب من المدرسة ويلتزم، ومشهد أفقي برضه لأقرب مسجد لبيته، مسجد الكلية العلمية الإسلامية، صلاة العصر ودروس ما بين العصر والمغرب، وأثناء الراحة ما بين الدروس، تجمعوا كلهم في حلقة في أطراف المسجد يهمسون:

- حماة والطاغية حافظ الأسد وأخوه رفعت وسرايا الدفاع، دكوا سجن حماة بالمدافع على رؤوس المعتقلين!

ومن أن تذكروا وجوده، حتى غيروا الموضوع إلى حلقة ذكر!



كبر الواد وبقىٰ راجل، وزيارة بيت الله الحرام ونعمل عمرة.

مشهد أفقي له وهو يطوف حول الحرم ويؤدي المشاعر، وما أن انتهىٰ من المناسك حتىٰ جلس ليستريح قليلًا هناك، حيث يهرول المعتمرين بين الصفا والمروة وسرعان ما وقف يبحث عن مصحف يقرأ به لحين حلول موعد صلاة العصر.

في آخر الصفا والمروة هناك مكتب يجلس به المتطوعين، سلم عليهم، فردوا جميعًا وتشجع وطلب منهم قرآن يقرأه ويحتفظ به ذكرىٰ، فصرخ فيه كبيرهم:

- اشي تبغي!
- عاوز مصحف سعاتك.

فعبس الرجل صارخًا:

- امشي من هون.



- يا عم أنا عاوز مصحف، هو أنا شتمتك! إنت زعلان ليه!

لتأتي ثلة من المعتمرين البنجلادشيين... (صديق، صديق، طريق، طريق)

ليختفي ويذوب بينهم.

منذ أن فشلت محاولات عبدالناصر في نتف دقن فيصل، وقرر فيصل نتف ريش عبد الناصر في فك الوحدة المصرية السورية وبعدها التنسيق مع المخابرات الأمريكية لاصطياده في ٦٧ في عملية اصطياد الديك الرومي، يموت عبد الناصر ويصعد السادات وتنتقل العلاقة «الساداتية الأمريكو سعودية» من الخفاء إلىٰ العلن، ويستلم «كمال أدهم» مدير المخابرات السعودية وصهر فيصل ملف السادات كاملًا، وينصاع السادات إلىٰ خطة الانقضاض علىٰ الإرث الناصري؛ لتتطور الخطة بعد ذلك من محو



الإرث الناصـري إلىٰ التوغـل وتشـويه الشخصـية المصـرية، وبعـد كتابـة السـيناريو مـن المخـابرات الأمريكية وكمال أدهم وتقديمه للسادات، شرع «سيد مرعي وعثمان أحمد عثمان» إلىٰ تكليف مثلث التأثير في الـرأي العـام «الشـيخ عبـد الحميـد كشـك، الشـيخ الشعراوي، الدكتور مصطفي محمود»

▼ الشيخ الشعراوي، يعمل علىٰ بسطاء المصريين مـن خـلال شخصـيته الكاريزميـة وتفسـيراته المبسطة للقرآن.

▼ الشـيخ كشـك، يلعـب علـىٰ جـزء مهـم في الشخصـية المصـرية وهـي السـخرية المُشـبعة بالتطاول، وقـد استخدمها كشك في هـز صـور نمطية في الوجدان المصري من خلال السـخرية من القوة الناعمة المصرية؛ فنانين وشعراء وفي الحشو الدعاء علىٰ عبد الناصر ونظامه.



▼ أما الدكتور مصطفي محمود، فكان تركيزه علىٰ المثقفين ومهاجمة اليسار والمفكرين اليساريين، وبرضه في الحشو مهاجمة عبد الناصر.

فُرِدت لهم صفحات الجرائد والقنوات، وتم تكليلهم بغار من القداسة في وقتٍ تم فيه التضييق علىٰ اليسار والناصريين، ومضايقات وصلت إلىٰ اعتقالات سبتمبر.

في يونيو ١٩٨٤ وصلتُ القاهرة؛ لإكمال دراستي الجامعية في المعهد العالي للخدمة الاجتماعية، كان المدرج به ٤٠٠ طالب وطالبة، عدد المحجبات من الطالبات لم يكن يتجاوز عشرين طالبة، وما أن أنهيت البكالوريوس في أربع سنوات حتىٰ أصبحت معظم طالبات المعهد محجبات!



خطبت في عام ١٩٨٨، حفلة في البيت فيها الأهل والجيران والأصدقاء، حفل خطوبة عادية مثل كل المصريين.

في عام ١٩٩٠ تم الزفاف، فرح في الشارع ورقص ونُقطة واختلاط عادي بين الأهل والأقارب والجيران.

نزلت أجازة من عمان في صيف ١٩٩٣ واتعزمت علىٰ فرح أحد شباب العائلة، يا للهول! علىٰ رأي عمنا يوسف وهبي؛ انقسمت العائلة نصفين، الرجال في جهة والسيدات في جهة أخرىٰ! ونحن أقارب من الدرجة الأولىٰ، يعني أعمامي هم أولاد عم أخوالي! فضلًا عن ظهور بعض المنتقبات من العائلة!

وبعدها ظهر إرهاب التسعينات الذي تراجع بفعل المراجعات الفقهية والضربات الأمنية، ليطل علينا فقهاء الألفية... «حسان وبرهامي» وغيرهما من شيوخ السلفية المدعومين سعوديا! لهم مساجدهم



ودروسهم، وإطلاق «عميو خايد» علىٰ الشريحة الأهم؛ وهم شباب الطبقة الوسطىٰ ومعهم سيدات الطبقة العليا!

وتأتي يناير وتسبغ السعودية حمايتها علىٰ مبارك ونظامه، ويستجيب المجلس العسكري، وتتم المحاكمات الفشنك، وبعد مهرجان البراءة للجميع يطلق «محمد حسان» بالاشتراك مع «مصطفىٰ بكري» مبادرة الدِّية، ويعرضوا الدية علىٰ أهالي شهداء يناير!

وتتم ٣٠يونيووبعدها ٣يوليو، وتتبلور الأفكار والمعطيات؛ ليصبح الملحق العسكري السابق في سفارتنا في الرياض رئيس جمهورية، وتظهر الكاميرات قبلة الحياة علىٰ جبين الملك عبد الله في الطائرة، وتنفتح شكاير الرز!

وهووووب، يتوفىٰ الملك عبد الله وينصب أخوه «سلمان» الطاعن في السن، ويصبح ملك السعودية،



ويعين ابنه «محمد» وليا للعهد! لتحدث التطورات الدراماتيكية في السعودية مع إبقاء أعينهم علىٰ مصر.

يحبس أعمامه! ينفتح المجتمع السعودي! يتحلل من الوهابية ورجالاتها ويطاردهم ويحبسهم. تصل التعليمات إلىٰ «أحمد القطان» سفيرهم في القاهرة ويتم الاستعانة بالدكتور «مصطفي الفقي» أبو لبانة «أبو لبانة ديه ليست من عندياتي ولكنه لقب كان يطلقه مبارك عليه؛ لأنه لا يضبط لسانه ودائمًا ما يبوح بأسرار الدولة لأي سيدة يقابلها»

وكانت العزومات، ورحلات العمرة المجانية، والساعات الرولكس لكوكبة من الإعلاميين تعرفونهم جميعًا نفر نفر! ويتم تسليم «تيران وصنافير» ويرحل القطان ويتم إرسال الصديق الشخصي للأمير محمد بن سلمان السيد «تركي آل شيخ» مندوب له للقاهرة؛ للتأثير في القوة الناعمة المصرية ووضع أكبر نادي



رياضي في مصر في جيبه، ولقوة وصرامة مجلس إدارة الأهلي -علىٰ فكرة أنا زملكاوي- ولتفاهة وعنجهية تركي يفشل مع الأهلي، طال عمره ينتقل من الأهلي للزمالك وبعد محاولات مُضنية من مرتضىٰ لحلبه، أخيرًا رفع اسمه من علىٰ المبني الاجتماعي الذي بناه بفلوسه، طبعًا طبيعي إن تركي يفشل في احتواء الأهلي ومن بعده الزمالك «مالك إنت يا تركي بالكورة! ده إنت بتنهج وإنت بتشرب مج النسكافيه!»

يرجع مبعوث محمد بن سلمان تركي آل شيخ إلىٰ سيرته القديمة، حيث الشعر الركيك والأخطاء الإملائية وشلة المنتفعين من الفنانين الدرجة الثانية وشعراء أغاني المهرجانات!

****



النقد

يرىٰ الفيلسوف المفكر التقدمي «فؤاد زكريا» أن النقد هو روح الفلسفة وقلبها النابض، وهو الباعث الأساسي لتحولاتها المتتابعة منذ نشأتها العقلية والمنهجية الأولىٰ عند الإغريق، حتىٰ صورها وأشكالها المختلفة عند المحدثين والمعاصرين، فقرر أنه لا يمكن أن يكون هناك مُفكر أصيل بدون موقف نقدي.

رأىٰ الدكتور فؤاد زكريا أن ثقافة هذه الجماعات التراثية الجامدة وعجزها عن توظيف التراث بشكل مستنىٰ، أدت إلىٰ تعطيل ملكات العقل والنقد لديهم، ما جعل بعضها تسلك سلوكًا متطرفًا، استخدمت فيه العنف والتكفير، أكثر مم استخدمت العقل والمنطق، وهوما أدىٰ إلىٰ إثارة القلاقل في العالم العربي.



هنا لابد من التعليق وإظهار وتوضيح موقف الدكتور زكريا الإنساني الفكري بما هو موجود الآن من غث يعُف العقل وإعماله من الاقتراب منه؛ فالتنويرون والتنويريات الجدد أقرب للظلاميين والظلاميات الجدد منهم لفكرة التنوير، وسنرىٰ كتابات «دينا وابراهيم عيسي وخالد منتصر والبحيري» وكيف أنهم وجه آخر للظلامية التراثية، ويرفضون نقد كتاباتهم وأفكارهم وما يقدمون، وفي دعشنة ثقافية دخيلة علىٰ العقل المصري ينعتون من ينتقد فكرهم بأنه إما تراثي ظلامي أو مغيب!

أما نحن... فنحن هنا ندعو إلىٰ استنهاض ثقافة مصرية عربية جديدة، تهدف إلىٰ تحديث المجتمع بفهمٍ جديد للواقع والتصدي لمصادرة حق النقد والتفكير والإبداع، مع تحرير العقل من التعصب وإقصاء الآخر، مع عدم الالتزام بالمُسلمات والرؤىٰ الحادة التي



تحاصر الفكر والتفكير، بمقولات ثابتة وجامدة، مع التمسك بقيم وأصالة حضارتنا.

****



مناظرات

لقد اختلط التاريخ بالنصوص، واختلط الفقه بالشريعة، وعمَّ الخلط جميع الأطراف بما فيهم إسلاميون مجتهدون ينتمون بالميلاد إلىٰ العقل الجمعي المسلم الذي شكّله التاريخ بأكثر مما صاغه النص، وانتهىٰ بهم موقفهم إلىٰ الدفاع عما حسبوه «نظام الحكم» الثابت أو الملزم في الإسلام، وبما فيهم أيضًا علمانيون مجترئون ممن ترجع خصومتهم للفكرة لأسباب قبل الفقهية، تنتمي بالأساس إلىٰ نطاق الأيديولوجيا، يبدأ موقفهم من اصطياد العورات والسوءات وما أكثرها في مستنقع التاريخ، ثم تقديمها علىٰ أنها «نظام الحكم» الذي أنتجه الإسلام.

من كتاب (السلطة في الإسلام، العقل الفقهي السلفي بين النص والتاريخ» لعبد الجواد ياسين)



ويعقب الأستاذ محمد حماد ويقول عن تلك الإشكالية:

(صحيح أن التاريخ لا يُلزم، لكن الصحيح أيضًا أن النصوص تُلزم، وفك الاشتباك بين التاريخ، والنص، أي بين ما يُلزم وما لا يُلزم، هو ضرورة علمية وفقهية يقوم عليها من هم أهلٌ لها)

مارس ١٩٨٣، اشتعال معركة «حديثٌ مع الله»

ارتفعت حرارة المعركة بين «الشيخ الشعراوي» وكلٍ من «توفيق الحكيم، ويوسف إدريس، والدكتور زكي نجيب محمود» حول مقالات الحكيم «حديثٌ مع الله» بدعوةِ الشعراوي لهم يوم ١٧ مارس ١٩٨٣ لعقد مناظرة تليفزيونية يحضرها وحده في مواجهتهم.

كان يوم ١٨ مارس عام ١٩٨٣ هو اليوم التالي لإطلاق دعوة المناظرة، وفيه ترقب الجميع رد الفعل عليها، فالداعي شيخ له جماهيريته الواسعة، والمدعوين رموز



كبيرة في مجال الفكر العربي، ويرصد الكاتب الصحفي «محمد توفيق» في كتابه «الملك والكتابة» هذه الردود قائلًا:

(سارع وزير الإعلام صفوت الشريف بالموافقة قائلًا إن مثل هذه الندوات تساعد علىٰ تبصير المجتمع بالقضايا الدينية)

وعلىٰ صفحات جريدة «الشعب» لسان حال حزب العمل المعارض، طرح يوسف إدريس في حوار له تساؤلات منها:

كيف أن عالمًا جليلًا في هذه المكانة يسمح لنفسه أن يتهم الآخرين بالكفر! وإذا كان هو فعلًا غيور علىٰ الإسلام، فالإسلام ينص علىٰ أنه قبل الحكم علىٰ إنسان لابد أن يحاكم أولًا، ونعطي له فرصة الدفاع عن نفسه، ولكن ليس هكذا، وبشكل غيابي يصدر حكمًا بالرِّدة، أو بالارتداد عن الدين، وهي التهمة التي يعلم



جيدًا أن عقوبتها الإعدام في ميدان عام، وإعدام من! إعدام رؤوس كبيرة في البلد تتلمذت علىٰ أيديهم أجيال وأجيال!

رد الشعراوي قائلًا:

إن الشيء الذي أحب أن أحدده ولا أدري كيف غاب عمن يتصيد ما يأخذه علىٰ شخصي، أنني لم أرم أحدًا بالضلال أو الإضلال أو الكُفر، ما الذي يجعلهم يجذبون هذه الألفاظ إلىٰ جهتهم؟»

يضيف توفيق:

فجأة أعلن يوسف إدريس موافقته علىٰ عمل المناظرة، ولكن بشروط، هي:

▼ أولًا، أن يفسر فضيلته لماذا أخذ موقفًا مؤيدًا تمامًا لمبادرة القدس «زيارة السادات لإسرائيل نوفمبر ١٩٧٧» التي كانت بداية الكوارث علىٰ



الأمة العربية والإسلامية، بل عمل وقتها وزيرًا للأوقاف! وبعيني رأيته مع الرئيس السابق السادات يحيي الذين وقفوا للتهنئة بمبادرة القدس.

▼ثانيًا، أريد أن أناقشه في موقفه المشهور في مجلس الشعب الذي قال فيه ما معناه «إن السادات لا يُسأل عما يفعل» فصاح به الشيخ «صلاح أبو إسماعيل» عضو المجلس قائلًا: يا راجل! هذا معناه أنك ترفع السادات إلىٰ مراتب الألوهية! فقط أريد إجابة عن هذا السؤال: يعني الرئيس السادات لا يُسأل «بضم الياء» ونحن يتم تكفيرنا دون أن نسأل، أم لأن السادات رئيس؟

▼ثالثًا، كيف تقوم حرب لبنان «العدوان الإسرائيلي علىٰ لبنان ١٩٨٢» ولا يحفز فضيلة



الشيخ الشعراوي نفسه لإثارة المسلمين ضد هذه الحرب وضد المذابح! أنا لم أقرأ أو أسمع له كلمة واحدة هجومًا علىٰ إسرائيل ولا علىٰ المذابح! إنه يقيم ندوة كل يوم جمعة بالتليفزيون، ومع ذلك لم يقل شيئًا عنها! كان من المفروض أن يخصصوا ولو ندوة واحدة، ولكن كون الشيخ الشعراوي يترك المسلمين يُذبحون ويتكلم في إعراب القرآن، لذلك لابد من مساءلة فضيلته عن هذا وهو رجل مسؤول بقدر عدد من يؤمنون به، وأنا لا أدينه، ولكن أنا فقط أضع النقاط ونتكلم حولها»

لم يكتف الشيخ الشعراوي بالمعركة مع ثلاثة من أقطاب الفكر، بل صعد من حملته وهاجم صحفيتي «الأهرام» و«أخبار اليوم» لوقوفهما إلىٰ جوار خصومه، وذلك في حواره مع جريدة الأحرار «لسان حال حزب



الأحرار المعارض» الذئ جاء فيه «إن تلك الصحف تحولت إلىٰ وكر لنشر الإلحاد بين الناس، بإفساح صفحاتها لمقالات توفيق الحكيم الذي يتطاول علىٰ الذات الإلهية ويتهجم علىٰ منهج الله تحت ستار ما يسمونه الاجتهاد وحرية الفكر، وأنه لا إكراه في الدين»

وصلت المعركة إلىٰ ساحات المحاكم، بتقديم الحكيم بلاغًا إلىٰ النائب العام ضد الشعراوي، يطالب فيه بحمايته من بعض الغوغائيين الذين قرأوا مقالاته وهاجموه، وطالب بحمايته من داعية إسلامي هو «متولي الشعراوي» أشاع بأنه كافر، وطالب بأن يحقق في الأمر وعلىٰ النيابة أن تتحرىٰ الموقف من عقلاء الدين؛ لتظهر الحق ولا تتركه بدون حكم نزيه من علماء الدين الشرفاء.

يذكر محمد توفيق أن الشيخ الشعراوي قام بمقاضاة جريدة «أخبار اليوم» لنشرها خبر رفع الحكيم لدعوىٰ

قضائية ضده، قبل أن تصله عريضة الدعوىٰ، مما يعد مخالفة قانونية ارتكبتها «أخبار اليوم» في حقه، علاوة علىٰ تَحيُزها الواضح ضده لحساب توفيق الحكيم، والدفاع عن أفكاره الغربية والترويج لها بين الناس، رغم مخالفتها لأبسط قواعد الإسلام.

وتواصلت المعركة حتىٰ أُسدل الستار عليها يوم ٥ إبريل ١٩٨٣.

مناظرة الإسلام والعلمانية

وفي مناظرة عاصفة بعنوان «الإسلام والعلمانية» بنقابة الأطباء بالقاهرة في يوليو١٩٨٥ بين الدكتور «فؤاد زكريا» وبين الشيخ «يوسف القرضاوي» والدكتور «محمد الغزالي» بدأ زكريا الحديث بالتحفظ علىٰ عنوان المناظرة، وقال أنه فهم أن المقصود وضع نوع من التضاد بين الإسلام والعلمانية، وهذا معناه أنه خسر المعركة قبل أن تبدأ، موضحًا أنه لا يصح وضع



الإسلام في كفة، والعلمانية في كفة أخرىٰ، وسرد زكريا تاريخ العلمانية، وقال إنها ظهرت في عصر النهضة بأوروبا، حينما ثار المواطنون علىٰ الكنيسة التي كانت تتدخل في كل شيء، في الفلسفة والسياسة والعلم، وكانت تنصب محاكم تفتيش للمخالفين لها.

موضحًا أن العلمانية في أوروبا هي ردة فعل في التفكير ضد الكنيسة، وأشار إلىٰ أن تبني أوروبا للعلمانية، ليس معناه أنها تخلت عن الدين وأصبحت كافرة، بل تبنت أسلوبًا في التفكير هدفه تحييد الدين في المجتمع، وهوما نريده في العالم الإسلامي، بحيث لا يستخدم الحاكم الدين كـ مبرر لقمع المخالفين، أو لاضطهاد الأقليات.

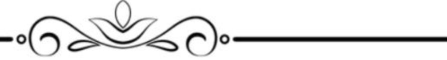
وأضاف زكريا أن العلمانية من الممكن أن تُكتب [العلمنية] بدون ألف؛ نسبة إلىٰ العلم بمراعاة زاوية المضمون وليس من زاوية الالتباس اللغوي. ثم أكد



علىٰ أن الربط بين المصطلح ومعنىٰ [العالم] أدق لأن الترجمة الصحيحة للكلمة هي [الزمانية] لأنها ترتبط في اللغات الأجنبية، بالأمور الزمانية، أي بما يحدث في هذا العالم وعلىٰ هذه الأرض، مقابل الروحانية التي تتعلق أساسًا بالعالم الآخر.

في المقابل... رفض يوسف القرضاوي العلمانية، وقال إنها مضادة للدين الإسلامي، لأن الشريعة هي التي تنظم بأحكامها الحياة، وتضع لها الضوابط، سواء فيما يتعلق بالأحوال الشخصية أو المجتمع، أو الدولة، وبهذا تناصب العلمانية العداء للدين. وأضاف أن العلمانية هي دعوة للعودة إلىٰ الجاهلية، أي إلىٰ الحكم بما وضع الناس، لا بما أنزل الله، كأنها تقول لله «نحن أعلم بما يصلح لنا منك»

واتفق معه في الرأي الدكتور محمد الغزالي، الذي اعتبر أن العلمانية مستوردة من الغرب



الاستعماري، ولا تصلح في بلاد المسلمين، كما أنها ضد الدستور الذي يستمد قوانينه من الشريعة الإسلامية، وضد إرادة الشعب الذي يلجأ لتحكيم الإله.

ثم كانت المناظرة التالية التي ساهمت مساهمة كبيرة في إهدار دم الكاتب «فرج فودة»

ويقول الباحث محمد السني:

المناظرة التي دارت بنادي نقابة المهندسين بالإسكندرية، والتي نظمتها اللجنة الثقافية بالنقابة، تحت اسم (مصر بين الدولة المدنية والدولة الدينية) قبل اغتيال فرج فودة بخمسة شهور في ٢٧ يناير ١٩٩٢

وكان الراحل الدكتور «فرج فودة» والدكتور «فؤاد زكريا» ممثلان للتيار المدني، ومَثّل التيار الديني عضو جماعة الإخوان الدكتور «محمد عمارة» وبجانبه الدكتور «محمد سليم العوا» وخلال تلك المناظرة،



فند ذكريا ادعاءات التيار الديني، وألقىٰ الدكتور محمد عمارة متحديًا سبع أسئلة مباشرة للشهيد فرج فودة، الذي أجاب عليها جميعًا باقتدار، فكانت الإجابات بمثابة سكب للبنزين علىٰ عقول الفريق الآخر، وبعد عشرين يومًا كان ما كان من فتاوىٰ تكفير الشهيد فرج فودة واعتباره مُرتّد لابد من قتله! لترتقي روح الدكتور فرج فودة إلىٰ بارئها وتحلق عاليًا شهيدًا للكلمة.



علماني علوم وعلماني رياضة

مشكلتنا الكبرىٰ في الشرق كله هي مشكلة مصطلحات، فِهم وتفسير المصطلحات ووقوعها موقعها الحقيقي في النفس وتربعها حيث يهضمها ويستسيغها العقل، فأنت تجد ذلك القصور المتعمد أو غير المتعمد، المبرر وغير المبرر متربعًا وجالسًا بين ثنايا العقل المصري الحالي لأسباب ذاتية وأخرىٰ آنية؛ حيث ذَهب المُعز وسيفه، والمعز هنا ليس الحاكم فقط وإنما مؤسسات وهيئات ثقافية وإعلامية داخلية وخارجية.

عندما يلوك السُفهاء المصطلحات بدون فهم لها بتشويه الجاهل الغشوم، فتجد البعض ممن هم محسوبين علىٰ التيارات الإسلامية وفي عز لحظات مصر التاريخية يصرخون في وجه الدكتور البرادعي:

(العلمانية هي أن أمك تقلع الحجاب)

وأن تجد بعضهم يتهم العلمانية كفكر بأنها صنوان ورديف الكفر ولكنه كفر حديث «كفر نيولوك!» وتجد مذيع مثل «تامر أمين» وبمنتهىٰ الخِفة يريد أن ينصف – كما يقول هو- العلمانية فيصفها بألفاظ وتفصيلات وكلام مبهم مهلهل، معتقدًا أنه بذلك يُرسي دعائم العلمانية ويدعم الدين وكلاهما يشخران منه، العلمانية والدين.

وكما سألناه نحن مرة:

- هو إنت علماني علوم ولا علماني رياضة؟ عشان بتفرق في التنسيق يا تامر؟

****



مقالات

لن ينفع مصر لا كباري ولا طرق.

وكما قالت الصحفية «مني الشيخ» نائب رئيس تحرير الجمهورية:

أنا بكل صدق أرىٰ أن أصحاب الفكر المتطرف من اليمين أو اليسار، خاصة مُدعي الفكر العلماني الذين خربوا حياتنا أكتر وشوهوا الأفكار المعتدلة المحترمة، كلاهما أفسد المجتمع جدًا، أذا لم يتم اجتثاثهم من المجتمع تمامًا؛ بأن يتم فصلهم من أماكن عملهم، خاصة إذا كان في مجال الثقافة أو التعليم أو الإعلام والصحافة.

لا تقوم الدول إلا علىٰ سياسة عامة للدولة تطبقها وتخدمها القوانين، وينفذها العاملين، وأنا بما أني صحفية، أنعي الصحافة كل لحظة يوم أن غزاها هؤلاء أصحاب الفكر العقيم اللي عملوا وفق أجندة إرهابية



تعمل بين السطور وتقدم المحتوىٰ الذي يثير جنوح الجميع لمزيد من التطاول والانحطاط.

أما صديقي المهندس خالد خليل فتحضرني هنا ملاحظة قالها صديقي العزيز حيث كتب:

حكىٰ لي صديقي الذي زار فنلندا يومًا، أنه دخل لأحد محلات السوبرماركت؛ ليشتري علبة حليب، لاحظ أن هناك عبوتين بنفس الحجم ولنفس الشركة بلونين مختلفين، ولكنه وجد أن سعر واحدة ضعف سعر الأخرىٰ تقريبًا!

استغرب! فسأل عاملة السوبرماركت، قال لها:

- ليه سعرها أغلىٰ من الثانية بكثير كده! هي دي أورجانيك ودي مش أورجانيك؟

نظرت له باستغراب وقالت:

- ما فيش حاجة في فنلندا أصلًا مش أورجانيك.



قال لها:

- أومال ليه دي سعرها أغلىٰ من دي بكثير وهي نفس الشركة ونفس الحجم؟!

قالت له:

- أصل البقرة التي جاء منها اللبن الغالي ده بقرة سعيدة.

ضحك وقال لها:

- بقره سعيدة أزاي لامؤاخذه؟!

قالت له:

- البقرة اللي حلبت اللبن الأرخص بقرة في مزرعة، أما البقرة اللي حلبت اللبن الغالي، بقرة في مراعي طبيعية غير محبوسة، وبتجري وتلعب وتتجوز براحتها وتعيش براحتها.

طبعًا أنتم ترون أن كلامها مبالغ فيه، ولكني أرىٰ أنه واقعي جدًا؛ إحساس الكائن سواء حيوان أو بشر بالحرية هي اللي تمده بالسعادة، سعادة تجعله قادر علىٰ إنتاج كل ما هو جميل وصحي وكثيف.

بالنسبة للبشر الحرية تجعله ينتج حضارة وتحضُر. فإذا كنتم تريدون زيادة الإنتاج، لا تبنوا مصانع ولا ترصفوا طرق فقط، بل حسِّنوا الخدمات للمواطنين، واعطوهم حرية، اجعلوا المواطن سعيدا حرا.

المواطن السعيد الحر سيعطيكم إنتاج، أما المواطن المكبوت التعيس هيفضل يرغي في قضية تافهة زي إن «مجدي يعقوب» هيدخل النار ولا هيروح مارينا. فلو عاوزين حليب أبيض زي الفل، عيشونا في المزرعة السعيدة والنبي.



كتب الباحث أحمد طه :

بمناسبة المعارك الورقيّة التي يثيرها مقاطيع التنوير ومخانيث النسويّة بين حين وآخر، أذكر واقعة تستحقّ أن تُروىٰ وتحمل دلالات بليغة:

عندما تشرّفت بزيارة الراحل الكبير «طارق البشري» رحمه الله رحمة واسعة، أتىٰ الحديث علىٰ ذِكر ثورة ١٩١٩ المجيدة والزعيمين الوطنيين العظيمين «سعد زغلول باشا» وصاحب المقام الرفيع «مصطفىٰ النحّاس باشا» فسألته:

- هل الوفد بطرحه الليبرالي «١٩٢٢ - ١٩٥٢» اصطدم بالهويّة الحضاريّة بصورة أو بأخرىٰ؟

فأجابني الراحل الكبير طارق البشري... وهنا أنقل جوابه بنصّه وفصّه دون تصحيح:



- إطلاقـــاً، لــم يحــدث لا مــع ســعد ولا مــع النحّاس، هو الوفد ماحاولش يأكّد نقطة الهويّة الحضاريّة، لكنه في نفس الوقت ما اصطدمش بيها إطلاقـاً، وده كان أحد أسباب انتشاره، مثلاً سعد زغلول في أزمة كتاب «الشعر الجاهلي» كـان ليه موقف واضح وصريح، كـان ممكـن يسكت ويتجاهل الموضوع، لكنـه مـاعملش كده، ده خد موقف وقال كلام حاسم.

وهنـا أنـا أحـبّ أشير إلىٰ نقطة مهمّـة إنـه مـن الحملـة الفرنسـيّة حتـىٰ الآن لـم يُكتَـب الانتشـار لأي فصيل فكـــري أو سياســـي إلا إذا كــان بيحـــترم المرجعيّـــة الحضـاريّة للمجتمـع، أو بـالتعبير بالماركسي بيحـترم الثقافة السائدة، ودي نقطة فيه ناس مش عايزة تفهمها.

انتهىٰ كلام الراحل الكبير طارق البشري، وأودّ أن أقول أن كلّ المعارك الورقيّة التي افتعلهـا أهـل «التنوير» في



الفترة الأخيرة تهدف إلىٰ تأسيس فهم «عصري» جديد للإسلام عبر هتك المُقدّس والاستخفاف والاستهزاء بالفهم القديم للإسلام «الموروث» عبر النظر إليه أو تصويره بأنه فهم قاصر عاجز عن تلبية متطلّبات العصر ومتناقض مع روح الحداثة و«التنوير»

جزء من هذه المعارك يهدف إلىٰ ضرب البنية التحتيّة والمخزون الاستراتيجي لجماعات الإسلام الحركي/ السياسي باعتبار أنها دومًا تستثمر في فائض التدين، فيكون الحلّ عند أهل «التنوير» بإيجاد فائض مضاد من الإلحاد!

كارثيّة آثار هذه المعارك أنها تأتي في نهاية المطاف بنقيض مقصدها؛ فهي لا تقف عند حدّ التصفية المعنويّة لأبطالها من أشاوس «التنوير» من المقاطيع والمخانيث وحسب، بل تُمثّل أفضل وقود لنشر التطرّف.

أمّا الأسوأ فهو أن محاولة نسف «الموروث» عبر تصوير جماهير المسلمين عبر قرون بأنهم أمّة من البلهاء لم يفهموا الإسلام بصورة سليمة، ووصف التراث الفقهي الطويل بأوصاف بلهاء فارغة جوفاء مثل وصفه بـ «الفقه الذكوري» هو مجرّد فكرة عدميّة ميّتة محكوم عليها وعلىٰ أصحابها بالفشل الذريع، وكما قال سعد زغلول باشا «وماذا علينا إذا لم يفهم البقر؟!»

ونختم هذا الباب بالمقال الأهم والأشمل والأوسع الذي يوضح تلك المعضلة التي وضعنا بها كلًا من التراثين والتنورين.

مقال الأستاذ شعبان يوسف

في كل أزمة ثقافية أو أدبية أو فنية، تعلو الأصوات من كل اتجاه، ولكننا نجد اتجاهات مختلفة، ومجهولة الهوية، ضجيج لا نستطيع أن نميز منه الصالح من



الطالح، مقالنا في جريدة أخبار الأدب العدد الجديد: من يدافع عن الثقافة، وكيف، ومتىٰ؟

هناك ظواهر عديدة ولافتة، تكاد تكون تاريخية وحادة في حياتنا الفكرية والثقافية والفنية، في الماضي والحاضر، في الأدب، الشعر، النقد، الفكر، العلوم الاجتماعية والفنون التشكيلية والسمعية والمرئية.

ومنذ كتاب «الإسلام وأصول الحكم» للشيخ «علي عبد الرازق» والذي صدر عام ١٩٢٥ وكتاب «في الشعر الجاهلي» للدكتور «طه حسين» الذىٰ صدر عام ١٩٢٦ مرورًا بكتاب «من هنا نبدأ» لـ «خالد محمد خالد» والذي صدر عام ١٩٥٠ وصولًا إلىٰ كتابات دكتور «نصر حامد أبوزيد» ودكتور «فرج فودة» وألف ليلة وليلة، ورواية «مسافة في عقل رجل» لـ «علاء حامد» ورواية «وليمة لأعشاب البحر» للسوري «حيدر حيدر» وبعد ذلك أزمة «الروايات الثلاث» للأدباء «محمود



حامد وياسر شعبان وتوفيق عبد الرحمن» وصولًا إلىٰ رواية «استخدام الحياة» لـ «أحمد ناجي» إلىٰ أغاني المهرجانات، وقضية حجبها ومنع منتجيها والمؤديين لها من الغناء، ثم مسرحية «المومس الفاضلة» لـ «جان بول سارتر» التي تفجّرت دون أي أسباب حقيقية، فالمسرحية كانت مجرد حديث عشوائي وعابر بين الفنانات، ثم التداعيات الساخنة والمتواترة التي تسارعت واهتمت بها الميديا، وأصبحت مادة رئيسية في برامج التوك شو، والتي أشعلت الحياة الفنية والثقافية والأدبية، خاصة عندما طرح أحد أعضاء البرلمان قضية المسرحية تحت قبته!

في كل هذه القضايا أو الأزمات، من الذي كان يشغل الفضاء العام بالأسئلة والإجابات! وهل هناك أسئلة حاسمة أو إجابات نهائية في مثل هذه الأزمات؟



أعتقـد أن الإجابـات النهائيـة أو الأسـئلة المطروحـة، مشـروعة كانـت أو غيـر منطقيـة، تظـل مفتوحـة طـوال الوقـت، فلـو تأملنـا -علىٰ سـبيل المثـال - أزمـة روايـة «وليمة لأعشاب البحـر» للسـوري حيـدر حيـدر، والتـي صـدرت طبعـة منهـا في القـاهرة في نـوفمبر ١٩٩٩ عـن الهيئة العامة لقصور الثقافة، ورغـم أن الروايـة كانـت قـد صدرت طبعتهـا الأولـىٰ عـام ١٩٨٣ وتـم إعـادة نشـرها عدة مرات بعـد ذلـك، وكـان النقـاد والبـاحثون يعـدونها رواية سياسية بشكل أساسي، إلا أنهـا فـور صـدورها في القـاهرة، بـدأت التيـارات الدينيـة المتطرفـة تثيـر بضـعة أفكار غريبة عن الرواية، حتىٰ أن كتب الـدكتور «محمـد عباس» مقالًا ناريًا وتحريضيًا في جريدة الشعب بتـاريخ ٢٨ ابريـل ٢٠٠٠ وجـاءت المانشـيتات مثيـرة للغايـة تحت عناوين شديدة الخطورة مثل: «لا إلـه إلا الله، مـن يبايعني علىٰ الموت، تبت أيـديكم، لـم يبـق إلا القـرآن» إلخ.



مثل هذه العناوين والمانشيتات المفزعة، والتي تتذرع بالدين وبنصوصه التي يتم تأويلها على هواهم، وذلك لإثارة البلبلة والتوتر المجتمعي الذي حدث في تلك الفترة.

لم يمر المقال الذي استغرق عدة صفحات في الجريدة مرور الكرام، بل تلقفته كافة الجماعات المتطرفة، ومن يتبعها، وبالطبع في مثل هذه الحالات، لا وقت للقراءة والمراجعة والفحص والتأمل، ناهيك عن النقد الأدبي الذي يتراجع للخلف بدرجات قصوى، فكما حدث في واقعة اغتيال «فرج فودة» عام ١٩٩٢ ومحاولة اغتيال «نجيب محفوظ» عام ١٩٩٤ فالقاتل لم يقرأ حرفًا لهذين الكاتبين، ولكنه دائمًا كان يقتفي آثار سيده ومولاه وكفيله بالمعنى الديني، وهذا ما حدث مع ناشري رواية «وليمة لأعشاب البحر» والناشر هنا الدولة نفسها، ومن ثم دخلت الدولة بكافة هيئاتها



الثقافية في الدفاع عن نفسها، وبالطبع جرت مياه كثيرة في النهر الهادئ، أو كما يبدو هادئًا.

كتب ليبراليون وعلمانيون وإسلاميون معتدلون وإسلاميون متطرفون وآخرون، وشغلت القضية الرأي العام بشكل كان فريدًا، ولم تكن الجماعات المتطرفة إلا اللاعب الأول بالنار، ولا يشغلها تلك الفتنة التي أثارتها، وتحولت القضية من الساحة الأدبية والدينية والفكرية، إلىٰ الساحة الدينية واللعب علىٰ المشاعر العميقة والمتأصلة الدينية لدىٰ الجموع من فئات وطبقات الشعب البسيطة، للدرجة التي تحركت فيها بضعة تجمعات طلابية من جامعة الأزهر، وفي ذلك الوقت كان صوت الشيخ في المساجد ومحطات الراديو والبرامج التلفزيونية، أعلىٰ وأقوىٰ من صوت الناقد في أي مكان، للدرجة التي أصدر اتحاد كتاب مصر بيانًا تاريخيًا برئاسة الشاعر «فاروق شوشة»



وكانت الرسالة موجهة إلىٰ رئيس الجمهورية، ليعرب فيها اتحاد الكتاب عن رفضه «لأية وصاية غير دستورية علىٰ عقول المفكرين وأقلامهم، تشل حركة الإبداع وتسيء لسمعة مصر وتعوق دورها الثقافي والحضاري الرائد.

ولكن لم يلتفت أحد لذلك البيان، وبيان اتحاد الكتاب هنا لا يعبر عن موقف مبدئي عام لديه، لأن هذا التحرك الذي أبداه الاتحاد لم يحدث إلا قليلًا للغاية في مناسبات أخرىٰ، ولكنه في هذه القضية علىٰ وجه الخصوص، كان الموقف إجباريًا، خاصة أن المطلوب كان رأس الدولة، ولا بد أن الاتحاد يتخذ موقفًا إزاء ما يحدث، ولكن هذا الاتحاد ذاته كان يتنصل من كُتّاب آخرين مثل «علاء حامد وصلاح الدين محسن وسمير غريب علي» عندما أصدروا روايات نالت هجومًا من جماعات التطرف بشكل حاد، بل كان بعض أعضاء



مجلس إدارته يدينون هؤلاء الكُتّاب، ولا ننسىٰ مقالات الكاتب الروائي «ثروت أباظة» الذي كان رئيسًا للاتحاد في التسعينات، والتي كتبها مهاجمًا لشعراء كتبوا قصائد، وتم تكفيرهم من الجماعات المتطرفة.

وفي ظل التراشق الثقافي والفكري والمجتمعي الذي أحدثته رواية «وليمة لأعشاب البحر» أصدر الكاتب نفسه حيدر حيدر بيانًا طويلًا نقتبس منه هذه الفقرة التي يقول فيها:

«في دعوة المهووس محمد عباس «لا إله إلا الله من يبايعني علىٰ الموت» وعبر شتيمته ونعتي بالفاجر الفاسق الكافر ابن الكافر، لم يرهبني أو يقلل عزيمتي، لكنني تساءلت بهدوء، هل يبيح الإسلام هذا الانحطاط والتسفيل الأخلاقي؟! الإسلام الذي دعا إلىٰ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»



كما أن الكاتب «إبراهيم أصلان» والذي كان رئيسًا لتحرير سلسلة «آفاق عربية» وقد صدرت الرواية عن تلك السلسلة، وجاء في بيانه: «ورواية وليمة لأعشاب البحر هي واحدة من أهم الروايات العربية علىٰ وجه الإطلاق، ليس رأينا، ولكنه رأي استقر عليه الواقع الثقافي العربي، وليس أدل علىٰ ذلك من عشرات الطبعات التي صدرت لها في مختلف البلدان العربية منذ صدورها أول مرة»

كما أن الناقد السينمائي «علىٰ أبو شادي» والذي كان رئيسًا لمجلس إدارة الهيئة، أصدر بيانًا مطولًا جاء فيه:

«الكاتب الروائي في العمل الإبداعي ليس ملزمًا بتقديم عظات جمالية أو خُطب منبرية، إنما هو يصور جميع طبقات المجتمع في أوج سموها أو انحطاطها، كُفرها أو إيمانها، وهو في ذلك إنما يعبر عن واقع الشخصيات نفسها، لا عن رأيه الخاص»



اخترنا مثالًا واضحًا أثار جدلًا لا شبيه له في تاريخنا الثقافي والأدبي والفني في العقود الخمسة السابقة، وخروج القضية من حيزها الضيق، إلىٰ الجامعة والصحف والبرلمان والحكومة نفسها، ممثلة في وزير الثقافة؛ لكي نقول بأن المُتحدث عن جوهر القضية ليس شخصًا بعينه، وليس اتجاهًا واحدًا علىٰ وجه الدقة، ولا مؤسسة رسمية فقط، بل شاركت كل الطوائف في تظاهرة واسعة ومثيرة في تشكيل المشهد ككل؛ المتطرف والمعتدل والرسمي وغير الرسمي، وفي هذا المثال بالتحديد، كان المثقفون الطليعيون علىٰ وجه الخصوص، مشاركين بقسط واسع في الدفاع عن الدولة، التي اتخذت موقفًا صارمًا تجاه البلبلة التي أثارتها الأقلام المتطرفة، وأشهد أن كل المسئولين الكبار، وعلىٰ رأسهم «فاروق حسني» وزير الثقافة، كانوا علىٰ قدم واحدة في مواجهة تيار الظلام الدامس



الـذىٰ يريـد إغـراق الـبلاد في رجعيتـه وتخلفـه وحروبـه الكارثية.

واقعة أو أزمة «وليمـة لأعشـاب البحـر» تتكـرر بأشـكال مختلفة، فما حدث مع تلك الرواية، حدث بعد ذلـك في ما لا يزيد عن العـام، في الواقعـة التـي عرفـت إعلاميًـا بـ «الروايات الثلاث» وكان موقف الدولة قد اتخـذ مسـارًا آخر، إذ تم الإطاحة برئيس التحرير الـذي صـدرت عـن سلسـلته «أصـوات أدبيـة» تلـك الروايـات، وكـان آنـذاك الروائـي الكبيـر الراحـل «محمـد البسـاطي» هـو الـذي يشغل ذلك الموقع، كما تم الإطاحـة بالناقـد السـينمائي «علي أبو شادي» من منصبه، ولـم تقـف الدولـة موقفهـا الثابت، وهذا الأمر يحتاج إلىٰ قدر من التأمل والدراسة ورصد كافة الملابسات التي كانت تحيط بذلك الظرف التـاريخي، وفي ظـل التصـاعد المضـطرد الـذي كانـت تشـهده الجماعـات المتطرفـة، لتفـرض بعـض شـروطها



وتواجدها في معظم المجالات، وكانت كافة الجهات الرسمية وغير الرسمية بدأت تنتبه لذلك التصاعد وتخشاه، وتتفاعل مع معطياته أكثر من أن تقاومه، إلا قليلًا، وبمبادرات تكاد تكون فردية.

ولا ننسىٰ هنا أزمة قصيدة «شرفة ليلىٰ مراد» للشاعر الراحل «حلمي سالم» والتي نشرت في مجلة «إبداع» بتاريخ أبريل ٢٠٠٧ وعندما تقدم بعض المتطرفين بشكاوىٰ كيدية إلىٰ الدكتور «ناصر الأنصاري» رئيس الهيئة المصرية العامة للكتاب التي كانت تصدر عنها المجلة، بما تحتوي عليه القصيدة -من وجهات نظرهم- علىٰ قدر من الخروج الديني الواضح كما زعموا، صادر الدكتور المجلة، والتي كان يرأس تحريرها الشاعر «أحمد عبد المعطي حجازي» وكان يرىٰ هؤلاء الشاكون أن المجلة تسيء للذات الإلهية عبر هذه القصيدة.



بعدها تقدم الشيخ «يوسف البدري» الذي كان متخصصًا في مطاردة الكُتّاب والفنانين ببلاغ إلىٰ النائب العام، يتهم فيه القصيدة وشاعرها وناشرها بالإساءة الفادحة إلىٰ الذات الإلهية وازدراء الأديان، ويطالب بمعاقبة رئيس التحرير وكاتب القصيدة، وبعدها تحولت القضية برمتها من قضية أدبية إلىٰ قضية دينية شهيرة بشكل أساسي، وأصبح صوت الناقد الأدبي لا وجود له إلا في حدود ضيقة، والأكثر دقة، لا يستمع إليه أحد من كافة جموع القراء والمتلقين.

الأمثلة جد كثيرة، ولا تتسع تلك المساحة لاستيعابها، ولكننا نصل إلىٰ اللحظة الحالية التي أثيرت فيها الضجة الخاصة بمسرحية «المومس العمياء» تلك المسرحية التي أشيع أن الفنانة الكبيرة «سميحة أيوب» سوف تُخرجها علىٰ خشبة المسرح، وسوف تقوم ببطولتها الفنانة المعروفة «إلهام شاهين» وهنا تقدم



أحـد البرلمـانيين بتقـديم طلـب إحاطـة حـول «مـن المسؤول عن إجازة تلك المسرحية الإباحية؟» ومن ثم قامت الدنيا ولم تقعد، وتكلّم كثيرون دون أن يدركوا أي معنىٰ للمسرحية، فالعنوان يوحي ويثير تلك الغرائز العمياء التي تكتفي بالعناوين فقط، دون الدخول في أي تفاصيل فكرية أو فنية تخص النص أو العرض، ولكن المطلوب كان إثارة جدل فارغ لا طائل منه حول العنوان فقط، ولكن المفيد في الأمر هو استثمار تلك الواقعة في الإضاءة حول المسرحية وكاتبها والفلسفة التي تعبر عنها، وكذلك الهدف الذي كُتبت من أجله المسرحية في عقد الأربعينات.

وتم عرض المسرحية علىٰ خشبة المسرح القومي في نوفمبر ١٩٥٨ والمدهش أن المسرحية في عرضها الأول، والذي قامت ببطولته «سميحة أيوب» ومعها «عمر الحريري وتوفيق الدقن وحسين رياض» وكانت

اللجنة التي أجازت النص تتكون من نقاد كبار وأفضل ومتخصصين، ويكفي ذكر اسميّ، د/ محمد مندور ود/ عبد القادر القط، لنعرف الجدية التي كانت تُدار بها الأمور الثقافية، خاصة أن نقادًا كثيرين تناولوا المسرحية بشكل نقدي واسع وعميق، ومنهم من اعترض على العنوان، ولكنه لم يحتج على عرض المسرحية إطلاقًا، أو مصادرتها، ومنهم من ناقش المسرحية بشكل تفصيلي وعميق مثل الدكتور «محمد مندور» واتخذها فرصة مواتية لكي يتحدث عن المنطق الفلسفي الذي انطلقت منه المسرحية، ومن ثم كتب مقالًا مباشرًا عن المسرحية، والمنطلقات التي أُنبتت عليها، ليتضح لنا أن المسرحية جاءت لفضح الازدواجية التي يعيشها المجتمع الأمريكي، تلك الازدواجية التي تصور المجتمع والسلطة في وقت واحد يناديان بالحرية، وفي الوقت نفسه يعملان على اضطهاد الزنوج بشكل واضح، وعندما تجد تلك



السيدة التي وصفها العنوان بالمومس أنها أمام تقديم شهادة زور، تصرخ أمام طالبي تلك الشهادة بالرفض والعصيان، لكي تقول «رغم أنني عاهرة وبغيّ، إلا أنني أشرف منكم جميعًا»

هنا تحاول المسرحية كشف تلك الغلالة الكثيفة حول موقف زائف، وهو الموقف من الحريات. المشكلة أننا في كل أزمة نجد أن الصراخ والتشدد والتعصب، أيًا كانت اللافتة التي يختفي تحتها ذلك الصراع؛ دينية أو أخلاقية أو سياسية، هو الصوت الذي يتصدر كل المنصات، ونجد الذين يدافعون عن المواقف الصحيحة والمبدئية يتوارون في ظل ارتفاع ذلك الصراخ الذي يفسد عمليات التلقي الطبيعية.

الضجة كلها حول إشاعة، ومعظم منتجي تلك الضجة لا يعرفون كثيرًا عن أصل المسألة، ولكن صوت العقل يظل هو الأقوىٰ بعد انقشاع كل تلك الحجارة الصغيرة



التـي تنـاثرت في معركـة شـبه وهميـة، بـين أنـاس شـبه فرسان، وما هم إلا مجرد بالونات لإحداث فرقعات وأصـوات لا تعمـل إلا علـىٰ إثـارة الدهشـة والبلبلـة والفوضىٰ.



سبّ الدين وتفكيك الدولة

العلمانية بتعريفها البسيط هي فصل الدين عن الدولة، تعريف بسيط ومنطقي وقابل للنقاش والأخذ والرد، ورغم تعدد أنواع العلمانية بين سياسية وفلسفية واجتماعية، إلا أنها كلها تدور حول فصل الدين عن الدولة، وقد مرت العلمانية منذ نشأتها في مرحلتين تطورت خلالهما تبعًا للحاجة وهذه المراحل هي:

▼ المرحلة المعتدلة، وفي هذه المرحلة تم فصل الدين عن الدولة، بين القرنين السابع عشر والثامن عشر، ولكن حفظت الدولة حق الكنيسة بالحماية وجباية ضرائبها، ودعت إلىٰ إخضاع الدين للنقد العقلي؛ فتمخض عن ذلك الاعتراف بالله كأصل للعالم وطرح الوحي وعدم الأخذ بما جاء به، ومن دعاة هذا النهج في العلمانية، «فولتير، وديكارت،



واسبينوزا، وروسو» وقد عدّ العالم ديكارت من العلماء الذين دعوا للحركة العلمانية.

- ▼ المرحلة المادية، بدأت هذه المرحلة في القرن التاسع عشر مناديه بإلغاء الإيمان بالغيبيات والدين بشكل كلّي، واعتبار العالم المحسوس هو الوجود الحقيقي فقط، وتعين علىٰ إلغاء الدين قيام السلطة المنفردة المتمثلة بسلطة الدولة أو الأحزاب أو العمل، ومن أشهر دعاة هذه المرحلة، «هيجل وكارل ماركس»

ولكن مشكلتنا نحن هنا في مصر أن المحسوبين علىٰ العلمانية أنفسهم أجهل ما يكونوا بالعلمانية والنقاش حولها، اتجاهاتهم وآرائهم وانحيازاتهم تشي بأنهم فهموا أن العلمانية ليست فصل الدين عن الدولة، وإنما سبّ الدين وتفكيك الدولة!



وهـذا مـا تفعلـه «دينـا أنـور» وكلنـا قرأنـا مـا كتبتـه سـبابًا واحتقــارًا للفقــراء إبــان حادثــة محطــة مصــر! فضــلًا عــن تحميــل الفقــراء كــل آثــام حُكّــام مصــر الســابقين والحــاليين والقــادمين وانحيــازهم ســواء للشــرق أو للغــرب، كمــا تفعــل «فريــدة الشــوباشــي» لــن نتحــدث كثيــرًا عمــا يتفــوه بــه «إبــراهيم عيســىٰ» مــن تُرّهــات وهــي فصــل مــن فصــول الخــوض في شــرف الأمــة ومحاولــة هــدم دعــائم الدولــة؛ فالعلمانيــة كمــا عرفهــا العــالم كلــه بأنهــا فصــل الــدين عــن الدولــة، إلا أنهــم يعرفونهــا وكأنهــا ســبّ الــدين وتفكيــك الدولــة! ولقــد كتبنــا ردًا علــىٰ الأســتاذ إبــراهيم عيســىٰ بعــدما رفــض وســـخر مـــن صـــيدلي يقـــرأ القـــرآن في صـــيدليته في أوقات فراغه:

أوليست تلك أبسـط حـدود الحريـة الشخصـية! أولـيس مـن حـق الإنسـان أن يحـدد نـوع ثقافتـه ومـن أي مَعـين



ينضب؟ أوليست تلك هي العلمانية الحقيقية في حرية المُعتقد!

صيدلية إبراهيم عيسى

إمبارح بالليل كان عندي صداع أووي جدًا خالص، لبست ونزلت روحت الصيدلية، ولسه بطلب بنادول، لقيت الصيدلي ماسك كتاب «مولانا» لإبراهيم عيسىٰ، تركت الصيدلية ولم آخذ الدوا، وأنا مستغرب إزاي صيدلي بيقرا كتاب لإبراهيم عيسىٰ ولا يقرأ في آخر علوم الصيدلة والكيميا الحيوية!

أووووم رحت لصيدلية تانية سهرانة في «مول» قصادنا، دخلت ولسه هطلب البنادول، لقيت الصيدلي بيقرا في كتاب «ولاد المرة» للمدموزيل «ياسمين الخطيب» روحي المعدنية انخفضت وخرجت بسرعة من الصيدلية.



جريت علىٰ صيدلية في آخر الشارع، الصيدلي واد كاجوال وروش، ولسه هطلب بنادول، لمحت علىٰ رف الكوزماتكس ومعاجين الأسنان كتاب الآنسة «دينا أنور» «الثورة الصامتة، خالعات الحجاب والنقاب» فأخدت ديلي في سناني وخرجت بسرعة من الصيدلية وأنا مرعوب!

هذا هو المنطق المتهافت الذي خرج علينا به إبراهيم عيسىٰ وعوالمه، أين المشكلة في أن يقرأ الصيدلي قرآن في محل عمله! وأن يطوي صفحات القرآن ويقرأ أولاد حارتنا، أوفي بيتنا رجل، أو الحب في زمن الكوليرا! أين المعضلة والأزمة الكبرىٰ في ذلك؟!

لا شيء سوىٰ أن إبراهيم عيسىٰ وعوالمه وحواريه، فهمهم للعلمانية قاصر وغير حقيقي؛ فالفهم الدارج والمبسط لها هو فصل الدين عن الدولة ولكن عيسىٰ



وشلته لا يعرفوها هكذا فصل الدين عن الدولة وإنما هدم الدين لإقامة الدولة!

تسللوا بهدوء مريب إلىٰ الحياة الثقافية، وكانت «الدستور الجريدة» هي منبرهم وفي عز انشغالنا بطرقعة عناوين الدستور السياسية آخر خمسة سنوات في عصر مبارك، كان الالتفات لمقالتهم وإلقاء الضوء عليها ضعيف، وكانت البداية هي التشكيك في الأحاديث النبوية وأن «صحيح البخاري» غير مقدس «وهذا حقيقي» واعتمدوا في نقدهم علىٰ أن البخاري جمع الأحاديث بعد ثلاثمائة عام من وفاة الرسول، وأن علم الحديث هو علم إنساني وقابل للنقد والقبول والرفض، وساعدهم علىٰ ذلك الإسرائيليات التي دُست علىٰ أحاديث الرسول، فضلًا عن السير الذاتية لبعض الصحابة ومنهم أبو هريرة نفسه.



أما الآن فقد قفز إبراهيم قفزة أخرىٰ من خلال تحديد توقيتات قراءة القرآن وحصر قراءته فقط لخريجي الشريعة والقانون فقد خاطبنا قائلاً:

(وليه درس صيدلة طالما بيقرأ قرآن! كان درس شريعة وقانون!)

وبنفس المنطق أسأل إبراهيم:

(وليه مثلت في أفلام خالد يوسف! كنت درست تمثيل، وليه كتبت روايات وقصص وسيناريوهات! كنت تركت الصحافة ودرست سينما!؟)

الحجر علىٰ الناس وتحديد مسارات اتجاهاتهم الثقافية فاشية غريبة علىٰ مدعي العلمانية، الشعب المصري محشور، نعم محشور بين المتطرفين الدينيين والمتطرفين العلمانيين؛ فنحن بين نارين، نار «هاتولي أختي كاميليا» ونار «هاتولي أختي دينا» فالسلفيين



يتهمونـا بقلـة الـدين، والعلمـانيين يتهمونـا بـالجمود والتكلس! مع أننا وسطيين وزي الفل!

ثـم سـرعان مـا أراد الأسـتاذ إبـراهيم عيسـىٰ إثـارة جـدل جديـد في برنامجـه، وتحـدث عـن اسـتحالة حـدوث «الإسـراء والمعـراج» في محاولـة محمومـة لهـز ثوابـت ثقافية ودينية عند البسطاء وبشكل مستفز! لا لـيس فقـط للتراثيين وإنما لقطاع كبير مـن الشـعب سـواء متـدين أو غير متدين، وهنا رد عليه الأستاذ حافظ المرازي:

(كيف أضرت انتهازية إبـراهيم عيسـىٰ بقضـية العلمانيـة وحرية الرأي!)

العلمانية ببساطة قد يمارسـها الجـار المصـري المسـلم البسيط دون قصد، وهو يهنئ جاره المسيحي بعيـده ولا يوبخـه أو يشـكك في عقيدتـه أو صـليبه أو حتـىٰ يناقشـه فيهـا. أو وهـو يتحـدث بكـل ذوق مـع مُدرسـة أولاده المسلمة وهي غير محجبة، دون أن يسألها لـم لا تغطـين



رأسك مثل زوجتي أو بناتي؟ أوحين يرىٰ زميله في العمل يفطر في رمضان أولا يذهب معه للصلاة في موعدها، دون أن يسأله السبب أو يشكك في عقيدته وإيمانه!

لسان حال هؤلاء «لكم دينكم ولي دين» لغير المسلم «وربنا يهديهم وهو أعلم بظروف عباده» وهو يلتمس الأعذار لأخيه أو أخته في الدين.

العلمانية هنا تتمثل في احترام عقائد الناس وممارستهم لها أو عدمها، والتركيز علىٰ المشترك في الحياة العامة مع الآخرين وليس إثارة «المختلف عليه» أي دون تدخل في حياة الناس الشخصية ودون تسفيه لمعتقداتهم، سواء شملت هذه المعتقدات للمسلم أنه يؤمن بالمعراج كما يؤمن بالإسراء أو أن هناك خلافًا بين المفسرين بشأنها، فليس هذا شأن طبيب أو مهندس أو إعلامي.



ربما يمكنني قبوله لوكان نقاشًا في حلقة لرجل دين دارس ومتخصص، سواء كان أزهريًا أو غير أزهري، مع العلم أن رجل الدين المُتزن لن يجد من الحكمة أو المفيد للناس مناقشة تلك القضايا التاريخية الخلافية، بينما لدى جمهوره من المشاهدين عشرات الأسئلة المتعلقة بأحكام الدين في حياتهم اليومية، وهو حين يهمل تلك الأمور لا يخفي شيئًا أوسرًا عن المؤمنين!

بالتالي، لم يسبق للمسلم المصري البسيط أن وبخ إبراهيم عيسى أو سأله عما إذا كان يصلي أو يصوم أو يحجّب زوجته أو بناته؛ لأنه لم يقدم لهم نفسه من قبل كرجل دين واعظ يوبخهم في معتقداتهم أو يحاول أن «يصحح» ممارساتهم الدينية، بل باعتباره صحفيًا كان معارضًا وأصبح مؤيدًا ومطبلًا! وتخصصه بالتالي في السياسة والاقتصاد والشأن العام، بل وحتى التحكيم



كناقد فني في مهرجان سينمائي بأسوان أو الجونة، لا بأس.

لكن حين يقرر «الصحفي» إبراهيم عيسىٰ أن يخرج من مناقشة القضايا الدنيوية، الـ «secular» «وهي تعني العلمانية، ليقحم نفسه في الدين، وينصح الناس ألا يسمعوا لرجال الدين ولا حاجة لهم بهم «مع أن التخصص أمر حداثي يجب تشجيعه» وبأنهم يخفون عنهم حقيقة دينهم، لكي ينصّب هو نفسه داعيا ومُصلحًا دينيًا، مستندًا إلىٰ وجود رخصة سياسية له من رئيس الدولة بـ «إصلاح الخطاب الديني» مع تهميش مؤسسة الأزهر؛ لاستقلالها عن التوجه السياسي، فهل هذه ممارسة لحرية رأي أو علمانية، بترك ما لقيصر لقيصر وما لله لله؟ أم انتهازية سياسية؟

حين لا تجرؤ أن تقول كلمة تُغضب القيصر، فتجد في دين وعباد الله سبحانه وتعالىٰ حيطتك المايلة



للاستئساد وادعاء الشجاعة في إبداء حرية الرأي؛ لأنك ضامن أنك مُحصّن من الأمن والقضاء، بحصانة قيصرية في قناة مصرية تحت الوصاية الأمنية! وحين تمارس نفس الجشع و«التكويش» بالخروج عن القضايا الدنيوية والسياسية لتناقش الدين بكل انتهازية سياسية في قناة خارج مصر، تمولها الحكومة الأمريكية وتتعاقد معك قناة الحرة لتقدم براتب دولاري مجزٍ، وأنت صحفي سياسي، برنامجًا عن الدين الإسلامي والقضايا الخلافية فيه باسم «مُختَلف عليه» فهل كان هذا ممارسة للعلمانية وحرية الرأي أم تنفيذ لأجندة سياسية غبية تعتقد أن مشكلة الإسلام السياسي الرافض للواقع هو في الكتابات الدينية وليس في الظلم الواقع بمجتمعاته، ولإحساس أتباعه الناشطين بأن النخبة المثقفة العلمانية لم تعد قريبة للمواطن البسيط، وباع كثيرون منهم ضمائرهم لمتاع «دنيوي»secular!



لقد انتقدني كثيرون حين دافعت عن حرية الرأي ورفض المطالبات بحبس إبراهيم عيسىٰ لما قاله، رغم قناعتي بانتهازيته، ولن أغير مبدأ ضرورة الرد علىٰ الكلمة بالكلمة وليس بالحبس أو الرصاص أو خطاب الكراهية، فليس هكذا نبني الأوطان ونقدم نحن القدوة الأحسن ونعرض عن الجاهلين، ونقدم المعلومةً حتىٰ لو منعوها في الإعلام الموجّه.

أخيرًا، فجعتني سرعة تحول إبراهيم من أسد إلىٰ نعامة، بسبب رد الفعل الساخط عليه الذي لم يتوقعه رُعاته سياسيًا واقتصاديًا، فإذا به يتراجع عما قال وينفي في برنامجه بقناة القاهرة والناس، ما قاله حرفيًا ليس فقط في قناة الحرة قبل عامين، بل وفي القاهرة والناس قبل أيام في الحلقة السابقة، بإعادة صياغة ما قال مشككًا في ذاكرة الناس، واصفًا إياهم بمرضىٰ يحتاجون طبيبًا، دون أن يعيد بث الدقيقة التي قالها



وأثـارت الضـجة ليؤكـد «الحـاج إبـراهيم» كمـا يسـمي نفسه الآن، ما يزعم أنه فُهم خطأ.

❊❊❊❊



الإسلام دين ودولة

يقول الدكتور «علي شريعتي» المسجد في زمن الرسول صلىٰ الله عليه وسلم كان له ثلاثة أبعاد

بُعد ديني «معبد» وبُعد تربوي «مدرسة» وبُعد سياسي «برلمان» وكان كل مواطن عضوًا فيه. أصبح المسجد الآن قصرًا فخمًا ولكن بدون أبعاد! تلك هي آفة التراثيين ومكمن الداء وأساس البلاء عندهم.

هذه هي الدولة الإسلامية وهذا هو المنطق الحقيقي لفكرة الدولة الاسلامية اليوتوبية والتي لم تكن موجودة سوىٰ في عهد الرسول صلىٰ الله عليه وسلم، أما ما بعد ذلك فقد كان هناك دول تختلف أو تتفق معها إلا أنها لم تكن دولة إسلامية بالمعنىٰ والوضوح الذي تم في حياة الرسول صلىٰ الله عليه وسلم؛ فالسلفيين الذين يتصدون للتنوريين ليسوا أكثر حكمة



أو عقلًا أودينًا عنهم، ولكنها أدوار اجتماعية وسياسية وبيزنس بينهم البعض.

أين هوا لإنتاج العلمي والثقافي والإنساني للسادة السلفيين! آخر وأحدث أفكارهم هي «الجامية» والجامية هي، المُعامل الموضوعي والتاريخي للحق الإلهي الذي كانت ترشي به الكنيسة في العصور الوسطي الحاكم أو الملك؛ لتبسط سيطرتها وتضمن ولائها

❊❊❊❊



الجامية في مصر

السلفية الجامية أو التيار الجامي

هو مذهب ظهر في السعودية في عز حمي غزو العراق للكويت ووصول القوات الأمريكية لحفر الباطن سنة ٩٠ وقد ظهر هذا التيار ردًا علىٰ الدعوات التي حرمت دخول قوات أجنبية لديار المسلمين والاستنجاد بها لقتال المسلمين في حرب تحرير الكويت.

ظهور التيار كان علىٰ يد الشيخ «محمد أمان الجامي» وهو من أصول أثيوبية، وتتميز الجامية بالعداء لأي توجه سياسي مخالف للسلطة، انطلاقًا ممن يعتقدون أنه منهج السلف في السمع والطاعة وحُرمة الخروج علىٰ الحاكم، مع بعض الليونة والتخفيف في بعض الأمور الاجتماعية، وفقًا لرؤية ومصلحة مؤسسة الحكم.



وتمتاز الجامية كذلك بأنها ليست تنظيما موحدا له كوادر هيكلية وأدوار بنيوية وتنظيمية، ولكنها أقرب إلىٰ تيار فكري له زعامات مختلفة، وانطلقت الجامية من السعودية وانتشرت في الكويت والأردن ومصر، وممثلها الظاهر والذي يمثلها كواجهة في مصر هو الشيخ «محمد سعيد رسلان» إلا أن سلوك وتصريحات بعض المتصدرين للمشهد الديني في المحروسة يتضح أنهم يعتنقون الفكر الجامي مثل وزير الأوقاف «مختار جمعة» مثلًا، وما كانت صرخة «خالد الجندي» المدّوية بأننا علماء السلطان، وأن لا عالم إلا عالم السلطان! ما هي إلا تكريس وتأكيد علىٰ الفكر الجامي.

ومن الدلالات الخطيرة علىٰ مساعدة الدول لنشر وانتشار الفكر الجامي وخصوصًا في السعودية، وبعد قدوم «محمد بن سلمان» ذلك التضييق الذي يتم



للعلماء الذين يختلفون مع المذهب الجامي عن طريق إقصائهم من وظائفهم ومنعهم من الخطابة والظهور الإعلامي والتواصل مع الناس، فضلًا عما يفعله بهم رجال الجامية من كتابة التقارير الأمنية فيهم وفضحهم وإعلان البراءة منهم.

لماذا تنتشر الجامية في مصر؟ هما السلفيين قصروا معاكم في حاجة؟!

هنا نرىٰ طريقة جديدة، ومهمة، وتحمل الكثير من الدلالات في أسلوب تفكير العقلية التي تدير المشهد؛ فالسلفيين في مصر لم يقصروا بتاتًا مع مؤسسة الحُكم الحالية ولا أي مؤسسة حُكم سابقة، ولكن ولائهم ينتقل مع كل حاكم، فقد رأينا السلفيين أيام مبارك وتقاريرهم وهجومهم علىٰ التيارات الأخرىٰ، ثم سرعان ما قامت يناير وتأكدوا من أُفول نجم مبارك، حتىٰ كانت «جمعة قندهار» التي آموا فيها الميدان، ثم



أصـبحوا مشـعلي ومطفئـي الحرائـق أيـام المجلـس العسكري، وأنا عاوز أختي إيفلين، وفين أختي كاميليا! ومفـيش محـافظ صـعيدي لقنـا طـول مـا إحنـا هنـا! هوووب.. استلم الإخوان الحكـم، وسـرعان مـا أصبح السلفيين ميليشيا تتلقىٰ التعليمات الإخوانيـة لضـربنا في الشوارع والميادين، وسرعان ما طار الإخـوان، فـدخل السـلفيين النظـام السيسـاوي فـرحين مُكـبرين مهللـين، ولـم تكن صور القيادي في حزب النـور «نـادر بكـار» مـع «تسـيبي ليفنـي» إلا تتويجًـا لأسـلوب ومنهجيـة سـلفيّ مصر.

وهنـا شـعر العقـل الأمنـي الـذي يـدير ويتـابع المشـهد بالحيرة! حيث أن السلفيين حلفاء غيـر أمنـاء، وولائهـم للحاكم طالما هو موجود بالسـلطة، أمـا إذا انقلـب فهـم ينقلبون عليه ويدخلون أسِّرة الحكـام الجُـدد، وهـم هنـا



يختلفـون تمامًـا عـن الجاميـة الـذين يحـاربون بسـيف الحاكم وقلمه حتىٰ آخر نقطة دم وآخر نقطة حبر.

****



الغث

ماذا فعلت جريدة المقال؟

كتب الأستاذ «حمدي أبو جليل» علىٰ موقع جريدة المقال:

جريدة المقال باختصار وفضلًا عن النقلة الصحفية المهنية الفارقة عملت تلت «هو كاتبها هكذا تلت» حاجات في ذاكرة الأمة دي:

(أولًا، كشفت حقيقة أبو هريرة كرجل مسكين كان يعمل علىٰ ملئ بطنه، وكان مشهورًا بالمبالغة والنكتة والكذب أحيانًا، بشهادة وتأديب كبار الصحابة، خصوصًا أعدلهم «عمر بن الخطاب» الذي عزله وضربه وحبسه علىٰ فساده وكذبه.

ثانيًا، كشفت خطورة نموذج الإسلامي الوسطي المستنير، وبينت بالأدلة والمسندات أن كلهم واحد،



كل الإسلاميين واحد، ولا فرق بين المستنير والمتشدد ولا الإخواني والداعشي إلا في الأساليب.

الثالث، وهذا هو الأهم، وهو تلك الكوكبة الكبيرة جدًا من الكُتاب المستنيرين المنورين والمؤمنين برسالة التنوير والمستعدين حتىٰ للرجم في سبيلها)

حمدي أبو جليل.

أما الدكتورة «دينا أنور» فقد كتبت علىٰ نفس البوابة:

(إلىٰ متىٰ يضع الإخوان مناهج التعليم في مصر؟ ما الذي نصّب السلطان العثماني المُحتل خليفة للمسلمين؟)

د/ دينا أنور

الولاد نزلوا حالاً باص المدرسة، لامتحان اللغة العربية والدراسات الاجتماعية بتاع الوزارة، ولسوء حظي إني قررت التيرم ده أراجع معاهم، كانت النتيجة إني لاقيت



مناهجهم مناهج بدائية عنصرية جهولة، ما فيهاش أي تطور عن مناهج القرن الماضي، بلُغة إخوانية فجّة تفوح منها رائحة الضاني بشكل مقزز جداً.

حتىٰ الفكر السلفي الحاكمي لواضعي المناهج واضح جداً لكل اللي فكر وربىٰ أولاده علىٰ الاطلاع والمعرفة مش علىٰ الحفظ والصم زيي.

لا ومستغربين قوي إننا مَفرخة للإرهاب، وإن في عيال خريجين كليات قمة ينضموا لداعش وينفذوا عمليات إرهابية!

ده أنا شوفت مدرس العربي بتاع ولادي بالصُدفة علىٰ زووم، واللي المفروض إنه مدرس في النظام الأمريكي في مدرسة دولية، دقنه الإخوانية شبرين، ومعاها الزبيبة الشهيرة، وطريقة كلامه! ولا أئمة الكتاتيب في الأرياف، وبدال ما يشوف شغله ويفهم العيال دروسهم، بيسألهم مين نسي يصلي الصبح، ومين



هيقوم يصلي الضهر! وبيقطع الدرس ويشغلهم الآذان ويقعد يردد معاه!

وبيبدأ الدرس بمقدمة ولا مقدمة خطبة الجمعة، في سماجة إخوانية سلفية عارفاها كويس جداً من الناس اللي مش إخوان بس يحترموهم، وطبعًا لو اتكلمت ولا اشتكيت هبقىٰ أنا اللي عنصرية ومتطرفة وبحكم عالناس بمظهرها! مع إن المظهر ده بالذات وتحديداً عُمْر ما بيصاحبه إلا فِكر إخواني صِرف، وعقيدة سلفية متأصلة، واحتقار للمرأة، وفي أغلب الأوقات انحرافات جنسية نتيجة الكبت!

لا وخدوا التقيلة، في منهج الدراسات الاجتماعية بيقولوا علىٰ الخليفة المجرم «سليم الأول» اللي احتل مصر وأعدم «طومان باي» البطل وضم مصر للإمبراطورية العثمانية، وأرسل أمهر عمالها وصُناعها للأستانة، توسّع في فتوحاته!



يعني المحتل المغتصب المدمر لاقتصاد بلدنا، القاتل لمن دافع عن استقلالنا فاتح مش مُحتل لمجرد أنه كان خليفة مسلم!

لا وكمان الخيانة الشهيرة لـ «علي بك الكبير» من نائبه «محمد بك أبوالدهب» مش مسميينها خيانة لاااا، دوول كاتبين إن محمد أبوالدهب انحاز للخليفة العثماني!

يا نهار اسود ومهبب بعشر آلاف نيلة! يعني نائب رئيس الجمهورية يخون الرئيس ويسمح لمُحتل غريب يدخل البلد ويهزم قائدها اللي بيحارب عشان استقلالها ومكسوفين نقول عليه خاين؛ لأن الخليفة العثماني اللي اتحالف معاه ضد بلده ورئيسه كان مسلم، شوفتوا المسخرة!

ومستغربين قوي من عقيدة الحاكمية والولاء والبراء اللي مؤمن بيها ثلاث أرباع الشعب المصري! واللي



خلتهم انتخبوا الإخوان ومرسي بكل أريحية! واللي مخلياهم بيأيدوا «أردوغان» أكتر من الرئيس السيسي عشان ولائهم لفكرة الخلافة الإسلامية وليس للوطن؟!

وبيعتبروا «آل عثمان» أسيادهم اللي منتظرينهم يفتحوا مصر تاني زي ما قال «عبد الله رشدي» وأمثاله! ومع ذلك متساب عادي بدون محاكمة! واللي بيتحاكموا ويتسجنوا بس البنات اللي بترقص «عالتيك توك» والستات اللي بتعمل تورتة للفرفشة والضحك «تورتة الأعضاء الجنسية في نادي الجزيرة» والبنات اللي بتتصور قدام الآثار من غير العباية ولا الإسدال!

من قلب المعاناة مع مهزلة التعليم الإخواني... رغم اندلاع ٣٠ يونيو منذ ثمانية سنوات في مصر. #يرحمكم_الله

د. دينا أنور



المقالان أعلاه أحدهما كتبه «حمدي أبو جليل» والثاني كتبته «دينا أنور» وكلاهما علىٰ صفحة جريدة المقال.

الأخ حمدي يحدد أمجاد جريدة المقال ورئيس تحريرها «إبراهيم عيسىٰ» في ثلاث نقاط:

▼ أولهم أبو هريرة، وأسبغ في وصفه بصفات بعضها حقيقي وبعضها كذب وأفك.

▼ الثانية هي أساس كلامه ومراده، فهو يعتبر أن كل مسلم إرهابي وداعشي وإخواني وسلفي، وأنه لا يوجد هناك إسلام وسطي ومسلمين ضد التطرف، بل كل المسلمين متطرفين!

▼ الثالثة، فكانت تمجيده لأمثاله من أمراء وأميرات الظلام، الذين لا يميزون بين العلمانية من حيث إنها فصل الدين عن الدولة، إلىٰ سبّ الدين وتفكيك الدولة!



بمنتهىٰ الجهل يصادر هذا المُحرض حق المسلم في النقاش، فكما يقول أنه لا فرق بين الإسلامي الوسطي والداعشي والإخوانية بمنطق مهترئ وتفكير ضحل.

أما التنويرية جدًا التنويرية خالص الدكتورة «دينا أنور» فصنعت الخلطة السرية التي من خلالها تضفي هالة من التنوير مع بعض التزوير، وأن كل من هو ملتحي لابد وأن يكون إرهابيا، وكل إرهابي حتمًا ولابد أن يكون إخوانيا! وطبعًا مع رشة من بهارات الدولة العثمانية وتركيا وسليم الأول؛ فهي تمارس نفس مدرسة «أحمد موسىٰ» ولكنها في الجهة الأخرىٰ وتسمي هذا تنويرًا!

طب بما إنك تملكين هذا القدر من الحنق علىٰ المحتل، أي محتل، وهذا حقك طبعًا، ماذا عن الاحتلال الفرنسي لمصر والاحتلال الإنجليزي والاحتلال الأمريكي للعراق والاحتلال الروسي لأوكرانيا؟! فاذا كانت الدولة العثمانية! وهي كانت



فعلًا سبب في تأخر مصر! حدثينا عن أدوار الاحتلال الفرنسي والإنجليزي والأمريكي وأدوارهم!

أما السوقية والانحطاط لوصف جزء من المصريين بأنهم ضأن، فقد يرد عليكِ بعضهم ممن يملكون نفس ضحالة فكرك في الجانب الآخر، بأنك لست أكثر من «مِعزّة تبحث عن جِدي»

وهل للهيئة وللشكل سواء بلِحيّة أو بدون لِحيّة، علاقة بأدوار الإنسان الثقافية والاجتماعية والسياسية والإنسانية! بمعنىٰ هل يصح الحكم علىٰ مُدرس الدين في مدرسة أولادك من شكله وهيئته بفيديو زووم؟! وهل أخطأ هذا المدرس في سؤال الأولاد عن الصلاة والصوم وتعليمهم ذلك؟!

فأننا إذا أخذنا بنفس منطقك بخصوص هيئة الإنسان فالنتائج ستصبح زفت، فقد يعتقد من يتعامل مع الناس بنفس منطقك وبمشاهدة صوركِ وفيديوهاتكِ، قد



يعتقد أنك موديل يتم عرض موديلات الفاشون والموضة عليه، وهذا شيء يخصكِ ولكِ مُطلق الحرية في إظهار أو إخفاء ما تريدين، فالمنطق هنا أعوج في الحكم على الناس، فليس هناك معايير إنسانية وثقافية في التعامل، ولكنها تجارب شخصية سيكولوجية مرتبطة بخبرات ذاتية، فمن يرى صور «دينا أنور» قبل عشر سنوات ومن يرى صورها حاليًا، يتأكد أن القضية ليست تنوير وإنما علاقات ورغبة في الشهرة والتصوير، هل هذا هو التنوير؟! وهل تلك الأطروحات تحسب على جماعات التنوير؟!

أين دينا أنور من هدى شعراوي ونبوية موسى ومي زيادة!

هذا ليس تنويرًا وإنما ظلام نفوس وأقلام، ومنصات لنشر الظلمات.

****



كشري... وتناقضات الرأي

كما قلنا وأكدنا سابقًا، أن آفة التراثيين وتناقضاتهم هي نفسها آفة التنورين، هي هي نفس المدرسة المُتكلسة المتجمدة، ونفس تطويع الحقائق وتبسيط ولي القيم لخدمة مدرستهم الفكرية.

(عبدالله رشدي) مثله مثل «خالد منتصر» راشق في أي موضوع فيه موت أو نساء.

فتاة مُحجبة دخلت كافيه Rulls» وأنظمة الكافية الداخلية لا تستقبل محجبات! خطأ أو صحيح ما فعله الكافية أو أنظمته لا يهمنا الآن، ولكن الأخ رشدي أقام الدنيا ولم يقعدها، وهناك محاربة للإسلام، وكيف تمنع لأنها محجبة؟!

بعدها بشهرين وفي رمضان سيدة مسيحية دخلت محل كشري وطلبت طبق كشري لابنتها، وهنا كذلك كانت



أنظمة وRulls» محل الكشري ترفض تقديم الكشري في نهار رمضان، هنا السيدة أحدثت ضجة وأقامت الدنيا وكيف تمنع ابنتي من أكل الكشري! وهنا انتصر «عبدالله رشدي» لأنظمة المحل والـ Rulls» وأن السيدة عليها أن تلتزم بقوانين المحل!

طب اشمعنىٰ في حالة فتاة الكافية لم تطالب بنفس الاحترام لأنظمة وقوانين المحلات؟!

الوقائع كلها سواء، فتاة الكافية أو سيدة الكشري وقائع تافهة ولا تستحق الالتفات إليها، ولكنها كانت القضية الأهم لعبدالله رشدي وخالد منتصر، دبجوا المقالات وشيروا البوستات وطيروا التويتات!

عبدالله رشدي وجد في حادثة فتاة الكافية اعتداء علىٰ الإسلام، وفي حادثة الكشري انتصار لإدارة المحل وRulls!



طب لو تم وزن الحادثتين بنفس الميزان، فالحادثتان مبتذلتان وتم فبركتهم والنفخ فيهم؛ لغاية في نفس يعقوب، مرتبط بمَكلّمة الهري التي يقيمها ويتربص فيها الفريقين لبعضهم البعض.

شيرين أبو عاقلة

شيرين أبو عاقلة مراسلتكم من قناة الجزيرة. من فيكم يعرف شيرين! من منكم رشف معها القهوة في صباحات عمان الباردة في رُكن في قهوة شعبية! من تعشىٰ معها «فتوتشيني الفريدوو تشيكن كييف» في «روميرو» أرقىٰ مطاعم عمان! من كان ينتظر مكالمتها ليطمئن علىٰ الأهل! من منكم خبر القدس وأهلها ورُقيهم وثقافتهم ووطنيتهم! من منكم تحدثت معها عن أنّاتها وأزماتها! هل رأىٰ أحدكم في عينيها نظرة حُب لمصر وأهلها؟!



كانت مصرية الهوىٰ، جنوبية الوجدان، تحب كل ما هو جنوبي، تعشق الجِباه السمراء، خدمت وطنها وقضيتها وجعلت من فلسطين اسم يتردد في كل أرجاء العالم.

شيرين أبـو عاقلـة فلسـطين المحتلـة، شـيرين أبـو عاقلـة القدس المحتلة، شـيرين أبـو عاقلـة معـبر ايريـز، شـيرين أبـو عاقلـة الخليـل، شـيرين أبـو عاقلـة استشـهدت في جنين!

اِلحق يا جدع، إمسك يا جدع شـيرين طلعـت مسـيحية! طب إيه؟!

إحنـا لأَزمَـن ولابـد نُشـكر شـيرين، نقـول عليهـا بطلـة، نعزي أهلهـا، نستذكر أدوارهـا وبطولاتهـا، بـس نـترحم عليهـا لأ، نقـول الله يرحمهـا لأ، لا يجـوز الـترحم علىٰ شيرين!



هذا هو منطق غِلاظ القلب ومُتكلسي العقل، فقد كتب أحد المعاتِيه أنه لا يجوز أن نترحم علىٰ شيرين، ليرد عليه الجهبذ «عبدالله رشدي» نعم لا يجوز ولكن لابد من ذكر مآثرها وأدوارها وبطولاتها وتعزية أهلها!

وهل شيرين تريد الرحمة من أمثالك! من أمثالك!!

شيرين هناك بين يد ربّ كريم لا تبغي سوىٰ رحمته وعفوه ورضاءه، أما أنت فأنت تهدف للتريند ومكايدة أشباهك علىٰ الضفة الأخرىٰ في الفكر والدعشنة والأوبَيِّج من اليوتيوب وإعلاناته!

وعلىٰ الضفة الأخرىٰ من النهر الآسن، نرىٰ أن الدكتورة بنت الباشمهندس «دينا أنور» ومن قلب التجمع الخامس، ومن علىٰ بعد آلاف الكيلومترات عن «جنين» استطاعت أن تحدد أن الرصاصة التي أصابت «شيرين أبو عاقلة» رصاصة فلسطينية! لا... بل حددت أنها رصاصة حمساوية! وأن إسرائيل بريئة من



دم شيرين وأن الفلسطينيين يتاجرون بالقضية وبشيرين!!

وفي تجني واضح علىٰ العقل، لن نتحدث عن الأبعاد الوطنية والدينية ولكن «دينا» تتجنىٰ علىٰ عقلنا الجمعي، جلست مسترخية علىٰ كرسيها في «الريسبشن» بعد جلسة مَسَاج، وسرحت بخيالها وخرجت لتهبد هبدة تبرئ فيها إسرائيل من دم شيرين! وعندما تصدىٰ لكلامها البعض، أخرجت قاموسها التنويري مع وصلة ردح تنويرية تبدأ بأن من يعارضها جاهل وداعشي وإخواني وقومي وعروبي وبيبيع فريسكا!

أي سخف تقوله تلك السيدة!! مشكلة دينا وأساتذتها في التنوير أنهم لا يعون جيدًا أن الناس تعي وتعرف أن بضاعتهم فاسدة ،وأن أقصىٰ ما يفعله من يمر علىٰ



صفاحتهم يبحث عن الاستدارة والمقدمات الثقافية والمؤخرات العلمية.

أي جهل هذا، أي غباء يتم نشره باسم التنوير، أي سوقية فكرية ووطنية يتم نشرها خدمة لإسرائيل؟!

التنوير لم يكن يومًا رديفًا للتطبيع، وهنا يحضرني مقال الأستاذ «عبد العظيم حماد» الذي يوضح فيه وجهة نظر التنويرين في قضية الصراع العربي الإسرائيلي، ووقوع المجتمع بين التراثيين من جهة، والتنويريين من جهة أخرىٰ، يقول الأستاذ عبد العظيم:

أجلاف التنوير

ليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأدركه، لذلك أستثني من الوصف بأجلاف التنوير الذين فَضّلوا انتظار التحقيق أو طالبوا بتحقيق مُحايد في جريمة اغتيال الشهيدة شيرين أبو عاقلة، أما من أعنيهم بهذا الوصف فهم الذين بادروا إلىٰ تبرئة إسرائيل



وأهلكوا أنفسهم في افتعال أسباب لهذه التبرئة وانتحال أسباب لاتهام جهات أخرىٰ بارتكاب الجريمة، فمنهم من قال أنها قناة الجزيرة ذات نفسها! ومنهم من قال حماس! وبعضهم قال إيران أو حزب الله! وآخرون منهم من قالوا داعش! فهذه الجهات كلها مستفيدة من قتل أبو عاقلة في رأيهم الذي يصفونه بالمستنير ضد الظلامية الدينية، وأضاف أحدهم أن القتلة ربما يكونون من المستوطنين اليهود ولكن دون علم أو موافقة إسرائيل الرسمية «الوديعة الجميلة»

المفارقة أنهم أيضًا لم ينتظروا يومًا أو اثنين؛ احترامًا للدم المسفوك ولمشاعر مواطنيهم المحزونين، بل هرعوا إلىٰ تدوين أقوالهم الحقيرة في نفس لحظة اندفاع أقرانهم من أجلاف التنطُع الديني، أي اللحظة التي كان دم الضحية لا يزال فائرًا مهراقًا «خوفًا أو اشفاقًا علينا نحن السذج وغير المستنيرين مثلهم من



الوقوع في الفخ أو عدم فهم ألاعيب الجزيرة وحماس وإيران وداعش، فنسارع إلىٰ اتهام إسرائيل الحلوة الطيبة!»

يتألف هؤلاء من مشارب منتنة متعددة، فمنهم كارهي كل ما يمت للإسلام بذاته بصلة، وليس فقط ما نعتبره تطرفًا إسلاميًا، ومنهم من يتصورون هذه المواقف جزءًا من ولائهم لحكومات التطبيع الدافئ، من أمثال من تطوعوا بوصف اعتداء البوليس الاسرائيلي علىٰ مشيعي جنازة أبو عاقلة بـ «اشتباكات بين بوليس الاحتلال والمشيعين» في نشرة إذاعة لندن العربية! رغم أن كل العالم يراها اعتداءات بمن فيه الإسرائيليون أنفسهم رسميون وإعلاميين، وطالبوا بالتحقيق مع البوليس، ومنهم من يروجون للمشروع الإبراهيمي المزعوم، ومنهم باتوا يكرهون المقاومة وفلسطين وسيرتها!



إننا يا أصدقاء محاصرون بين عفن أجلاف التدين وعفن أجلاف التنوير، فلنحتفظ بيننا ببصيص ضوء وبنسمة نقية عسىٰ أن يأتي يوم أفضل تضيئه وتعطره ذكرىٰ أبو عاقلة والذين سبقوها والذين سيلحقون بها من الأطهار.

❋❋❋❋



الطريق الثالث

الثقافة كما يعرفها «تايلور» بأنها ذلك الكل المُركب الذي يشمل الأخلاق والعادات والتقاليد، وكل ما ينتجه الإنسان كعضو فعّال في المجتمع.

استعرضنا في الفصول السابقة اجتهادات التنورين والتراثين وإسهاماتهم الثقافية، كُلاً من وجهة نظره ورؤاه وخلفياته الثقافية وأدواته في التأثير في الرأي من أجل إحداث التأثير الذي ينشده، هل أحدثوا تأثير سلبي أم إيجابي! هل تركوا أو سيتركون لنا إرث حضاري أو فكري؟!

بدأنا بـ طه حسين والعقاد وهدىٰ شعراوي والشيخان الغزالي والمراغي وانتهينا مع دينا أنور والبحيري وإبراهيم عيسىٰ وعبدالله رشدي وخالد الجندي ومبروك عطية وحاتم ابن الحويني، هؤلاء هم الأعلام المُرفرفة المِفرفرة التي تريد التأثير في الرأي العام



والأخـذ بيـد المجتمـع لإحـداث النهضـة الثقافيـة والإنسانية، قولًا واحدًا لقد فشلوا، كلاهما، الفريقان أخفقـوا في تطبيـع حالـة حضـارية وإنسـانية يمسـك بتلابيبها شباب الأمة ويهتدي بها شيبتها.

قُضـي الأمـر ويـتم الآن تشـييع المدرسـتان إلـىٰ مثواهمـا الأخيـر، بعـد أن اسـتنفذوا كـل الفُـرص طـوال قـرنٍ كامـل -أكثـر مـن مئـة عـام- ولـم يتركـوا بصـمة واحـدة وحيـدة سـوىٰ تطـاحن وخِسّـه وتطـاول ودعشـنة ثقافيـة ترعرعـت في جنبـات حواراتهم ومناظرتهم وكتابتهم ورؤاهم.

حان الوقت لبزوغ الفجر ومشاهدة الضوء في آخر النفق الـذي وضـعت فيـه الأمـة ارهاصـات مشـروع نهضـوي مستلهم مـن عظمـة وروعـة وحضـارة الأمـة المصـرية، يتطلـع إلـىٰ عمـق وقيمـة الحداثـة ودورهـا في رفعـة الإنسانية، ويتطلع كذلك إلىٰ تنقية التراث مما علق به



من تُرّهات وأوزار أدت إلىٰ تقييد الإسلام والتضييق علىٰ المسلمين.

لا قشور غربية ولا قباقيب شرقية؛ فالحضارة الغربية قيمها الإنسانية الحقيقية أقرب للحضارة الإسلامية منها لقشور التنويرين الجُدد، والحضارة الإسلامية تلتقي مع كل الحضارات الإنسانية ومنها الغربية في إعلاء قيمة الإنسان ومراعاة احتياجاته المادية والروحانية، وبعيدة كل البعد عن التراثين وجمود وتكلس ما يروجون.

والحضارتين الإسلامية والغربية هما من جُبل عليه المصري منذ فجر التاريخ ومنذ الفراعنة حتىٰ يومنا هذا، والمصري يعي جيدًا من هو.

إخطف رجلك إلىٰ «الكنيسة المعلقة» في مصر القديمة وسر رؤاك وأنر عيناك بالمنابر والأعمدة والزخارف التي نقشت قبل دخول «عمرو بن العاص» مصر، إنها



ليست نقوش إسلامية يا سادة، أو نقوش مسيحية يا أفاضل، لا بل إنها نقوش مصرية.

نقوش بديع، نقوش بنت بيئتها، ولذلك كتبنا وقولنا وببساطة أوعىٰ أيها المصري الطيب الوسطي الكيوت المِهاوِد، اوعىٰ، اوعىٰ تصدق أن هذا السُخام والهراء والبذاءات التي يقدمها «خالد منتصر وإبراهيم عيسىٰ والبحيري» اوعىٰ تصدق أن ديه العلمانية أو الحداثة؛ العلمانية بريئة من هذا الهراء، العلمانية حرية المُعتقد وحرية الفكر، فما يقدمونه من سُخام ليس سوىٰ دعشنة للعلمانية؛ لخدمة أجندات ثقافية وسياسية ودولية.

الموضوع مالوش دعوة خالص بالعلمانية ولا بجوهرها.

واوعىٰ تصدق إن «عبدالله كشري أو حاتم الحويني أو مختار جمعة» وتناقضه هو ده الإسلام، الإسلام المصري أو فهم المصري للإسلام يختلف تمامًا عما



يقدمه ويدافع عنه عبدالله رشدي وحواريه، ولكنه التمسك بالتريند ومكاسبه وبريق الشاشات ودولاراته!

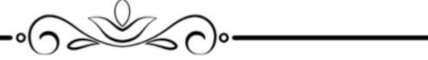
نحن الأكثر، نحن الأصدق، نحن قلب هذا البلد ونبضه.

الطريق الثالث طريق أغلبية المصريين، ليس به خالد منتصر وذُهانه وعبدالله رشدي ومجانصه.

الإسلام المصري، نعم هناك إسلام مصري؛ إسلام القلوب واستفتاء القلوب.

العلمانية المصرية، نعم العلمانية المصرية؛ هي قلب ولُبّ العلمانية وهي حرية المعتقد.

اوعىٰ تصدق ما يقدم لك، ومحاولتنا تلك ما هي سوىٰ لبِنة أولىٰ تحتاج إلىٰ لبنات أخريات تُضاف، تلك المحاولات منا هي أولىٰ الموجات في حركة ثقافية تمور وتفور في نفوس الغالبية العظمىٰ من مثقفي الأمة،



وليست أطروحات غيبية، فنحن نرىٰ أن المصري القديم الذي صنع أمجاد علىٰ كل المستويات، لا يمكن أن يظل أسير غيبيات وظلاميات وكربلائيات التراثيين، ولا أسير تُرّهات وخوار المستنورين.

الطريق الثالث، طريق جديد يتطلب الصبر والبحث، ومن يريد المشي في هذا الطريق عليه أن يكون ابن بلد، نعم المعنىٰ الذي وصلك، وهو أن يكون ابن بلد بالمعنىٰ الدارج؛ يحمل سمات أبناء البلد، يشّمر كُمّه وينزل إلىٰ قاع تاريخنا سيجد لؤلؤ ومرجان وزبرجد وريحان وعقود لولي وجنان. سيجد تاريخ الإنسانية الذي كتب علىٰ الجِباه السمرة المصرية فرعونية ومسيحية وإسلامية وحضارة إنسانية.

كل المقدمات تشي أننا الآن في طريقنا إلىٰ إرهاصات نظرية فكرية جديدة، نظرية **الطريق الثالث.**

حـرب شـعواء ضـروس، نـار ودمـار، وقـذف وحـذف وحــزق وصــراخ، واســتخدام للتــاريخ والجغرافيــا، وإهـدار للوقـت والمـوارد والـورق والحـبر والكهربـاء، وفي النهاية عوائد لشركات الاتصال وصبّ في مصـلحة الحاكم، كل حاكم.

إنهـا حـرب التراثيـين والمسـتنورين، منـذ بدايـة القـرن العشــرين وهــم يــأكلون بعضــهم الــبعض؛ أمــلًا في الاستحواذ علىٰ عقل الأمة ورضاء الحـاكم، أي حـاكم، منـذ عبـاس حلمـي مـرورًا بفـؤاد الأول وفـاروق الأول وجمـال الأول وسـادات الأول ومبـارك الأول ومرسـي الأول والسيسي الأول والأخير.

لم تستفِد منهم الأمـة قيـد أُنمُلـة! وهـا نحـن كمـا نحـن مَحلك سِر، نجري ولكنه جري في المكـان لـم نتقـدم خطـوة ثقافيًـا وسياسـيًا واجتماعيًـا واقتصـاديًا، علـىٰ عكس قفـزاتهم الاقتصـادية لهـم ولمحاسـيبهم. لمـاذا



فشل التراثيين والمستنورين في إحداث تغيير أو تنوير أو استمالة من بسطاء الشعب تجاههم وتجاه أطروحاتهم وبرامجهم، ورغم المال الخليجي السخي، والبرامج من الـ CIA للتراثيين، ورغم طبطبة الدولار ودعم الاتحاد الأوروبي للمستنورين؟!

إنها الفجوة الزمنية التي سقط بها التراثيين ولغاتهم الخشبية وتمسكهم بفكرة الـpackage إما تاخد الفلسفات السماوية والإنسانية كلها علىٰ بعضها لوكشة واحدة بسلطاتها وباباغنوجها وبُخاريها وهُريرتها أو تتركها كلها.

لا تناقش ولا تجادل يا أخ علىٰ! وهذا ينطبق عليه رجال الأديان سواء إسلام أو مسيحية، والفلسفات سواء دينية أو بشرية، وكذلك علىٰ الجانب الآخر يرىٰ الناس أن البديل مجموعة من الانعزالين المتعجرفين المجد فين، المتدثرين



بقشور الثقافة الغربية والأفكار البعيدة عن الفطرة الإنسانية، وقال إيه يا ولاد بيقولوا علىٰ ده تنوير! أفيال تناطح أفيال ونحن خزفهم الذي يتناثر مع حركتهم وعروضهم، ويقدمون هذا الغثّ علىٰ أنه تراث أو تنوير!

والمتتبع للفريقين يجد أنهما كليهما لم ينطقا ببنت شفه تجاه الأحداث الجِسّام التي مرت وتمر بها الأمة منذ بداية القرن العشرين حتىٰ الآن، إلا من رحم ربي، والآن ينعم الفريقين بذَهب المُعِز ويرقصون بسيفه علىٰ جثث شهداء وعلىٰ آهات سجناء! بل الوقاحة بلغت بهم في حربهم ضد بعضهم البعض، أن يتسولوا رضا الحاكم ويتحول الكثير من التراثيين إلىٰ الجامية التي تُمجد الحاكم أصاب أوأطاح، وعلىٰ الجانب الآخر



نجد أن المستنورين جُلهم من المطبلاتية الذين يرقصون علىٰ نغمات همهمات الحاكم.

ماذا نريد؟

طريق ثالث، هذا هوما نريده، أن ينزل من علىٰ المسرح التراثيين والمستنورين بعد أن ملّ الجمهور أدائهم، وسأم من عروضهم.

طريق ثالث، أُناس من أبناء هذا الشعب، لا يتكبرون عليه ولا يرهبونه.

بعض ارهاصات هذا المشروع

قد... « قد واخدلي بالك انت، قد» تكون تلك بدايتها:

١ - العمل فورًا علىٰ تنقية التراث مما علق به من أغبرة التاريخ وتُرّهات الجغرافيا ودهاليزها، لِجان تعمل إرضاءً لله والوطن.



٢- نحو مشروع ثقافي حقيقي يستند إلىٰ ثقافة الأمة المصرية، ولا يستبعد أي من مكوناتها الثقافية والإنسانية، يبدأ من الفرعونية مرورًا بالمسيحية والإسلامية والعربية.

٣ـ برامج حقيقية تربط بين الحداثة والمكونات الثقافية للأمة المصرية.

٤ - فكّ الاشتباك وبسرعة بين الحداثة والقيم المصرية الثقافية، بمكوناتها الفرعونية والمسيحية والإسلامية والعربية.

٥ - طرح قيم الحرية في البحوث العلمية والأطروحات الثقافية، وطبعًا وأكيد السياسية.

٦ - العمل بدأب وقوة وأمانة علىٰ إحداث قفزة نوعية في الشخصية المصرية ثقافيًا وعلميًا وسياسيًا واجتماعيًا.



أعلم تمامًا أن ما تم طرحه الآن لا يمكن أن يعالج في مقال علىٰ «السوشيال ميديا» أو حتىٰ من خلال دراسة واحدة، بل يحتاج إلىٰ دراسات متعمقة مُتجذرة، ولكنها إرهاصات أتمنىٰ أن يُبنىٰ عليها وأطمح إلىٰ نقدها نقد حقيقي، فقد نستفاد جميعًا.

الطريق الثالث. طريق المصريين.



جدول المحتويات

****